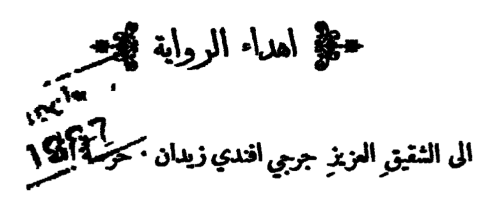


اهداء الرواية

الى الشقيق العزيز جرجي افندي زيدان .

سيدي – هذهِ رعاكَ الله وابقاكَ عجالةٌ حملني على تأليفها مقالاتُكَ الرنّانةُ في « هلالكَ الاغرّ » تحتَ عنوانِ « ساعاتِ الفراغِ » فكتبتُها حينَ خلوّي من العمل وجعلتُها هديةً برسمِ فضلِكَ . وانْ كانت دونَ ما يليقُ بأَدبِكَ وعلمك ليعلمَ المطلعُ عليها انك انت الباعثُ على تأليفها اقتداءً بجميلِ صنعِك . فمهّدْ لها من كرمِكَ سبيلَ القبولِ تنشيطاً لاخيك

يوسف



المقدمة

لا ينكر احد ما وصل اليه الاوربيون من الدقة والتفنن في تأليف الروايات ووصف الحوادث والعواطف · ولكن مهما بولغ في ذلك ومهما وصلت اليهِ مقدرتهم في هذا الفنّ فلو نقلت مؤلفاتهم الى لغة غيرهم البعيدين عنهم في العوائد والاخلاق لقصّرت عن الاتيان بالفائدة المرادة منها في بلادهم

فيا حبذا لو اعتبر كتبة لغتنا الشريفة في وجه حاجتنا الى هذا الفن الذي هو من اجلّ الوسائل لتهذيب الافكار وتدميث الاخلاق واقوى الذرائع لاصلاح العادات وترقية المدنية فلا يحرمونا من فائدة التأليف فيهِ والتوسع في مواضيعه فيتعزّز شأنه وتكثر قراؤه فتعمّ الفائدة ويكسبهم الجميلَ فخرُهُ

ورب معترض يقول ان روايات الافرنج اكثر مادةً فتعريبها اجزل فائدة من تأليف الروايات عن بلادنا لاننا لا نقدر ان نجيد اجادتهم في الوصف نظرًا لقرب عهدنا في هذا الفنّ وقدميتهم فيه وترقيه عندهم حتى وصلوا به الى درجة يعزّ علينا نيلها في زمن يسير

فاقول مهما قصر كتبتنا في تأليف الروايات ووصف الحوادث والاخلاق فلا يخرجون عن كونهم عقلاء البلاد يشعرون بما يشعر به ابناء لغتهم من العواطف والمؤثرات ويدركون ما لا يدركه الغريب من اماكن الخطاء ووجوه الخلل فاذا وصفوا حوادثَ او عواطفَ وكان وصفهم بحسب الواقع مقصرًا عن

اولئك فان قرّاء الشرق يرون منه ضد ذلك لانهم يدركون من الفائدة ما لا يدركونه من كتابة الاجانب. لانهم انما يقرأُون وصف حوادث يشاهدونها وعواطف يتأثرون منها فلا يغفلون عن دقيقة الاَّ ويفهمونها او يبحثون عن مراد الكاتب منها

اما انا فمع علمي بضعفي وتقصيري فلا انتحل لنفسي عذرًا على كتابة هذه الرواية بل ارجو من كل من يطلع عليها ان لا يغض الطرف عن انتقاد ما يتراءى له بها من الخلل فاشكر فضله واثني عليه لاني بذلك اعرف محل خطإي فاتجنبه حتى اذا اتيح لي كتابة غيرها كنت اقرب الى ارضاء القراء الكرام فيها مني في هذه

واما الرواية فغرامية الموضوع ادبية النتيجة يتخلل وقائعها وصف كثيرٍ من الازياء والعوائد التي معظمها قد اقتبسناه عن الافرنج اخص منها اختلاط النساء بالرجال الذي يفضي في بعض الاحيان الى التبذل واتباع المحرمات واما حوادثها فبين مصر وسوريا في الخمس عشرة الاخيرة من هذا القرن وهي تتضمن شقاء المحبين وخيانة الفاجرين وجزاء كلٍ من اولاء بما جنت يداه

رواية
انتصار المحبين

« تأليف »

يوسف زيدان

﴿ طُبعت بنفقة مطبعة المعارف ﴾

طُبعت بمطبعة المعارف في اوّل شارع الفجالة · بمصر « لنجيب متري »
سنة ١٨٩٤

هدية راس السنة

في ليلة عيد راس السنه زهاء الساعة الثامنة مساء وقفت عربة الى باب حديقة في منتصف شارع شبرا الى الجهة الجنوبية منه وكانت الحديقة تنتهي الى بناية مزخرفة تظهر للناظر اليها انها غاية في الاتقان وعند وقوف العربة نزل منها شاب لطيف الشكل ربع القامة واشار الى غلام كان الى جانب السائق فتناول بقجةً من العربة كانت تتلألأ في ذلك الظلام لما عليها من التطريز الذهبي وتبعه فدخلا من باب الحديقة على رصيف مرصوف بالحصباء الى ان انتهيا الى باب البناية فغمز ذلك الشاب زراً في الباب ففتح في الحال فدخل الى صحن الدار وكان مزيناً بأنواع الزينة احتفالاً بالعيد عدا عما فيه من الرياش الفاخر والاثاث الثمين فسأل احدَ الخدم اين والدي

فقال له في قاعة الاستقبال

فاشار اليه ان ياخذ البقجة من الغلام ودخل القاعة فاذا والده فيها وهو شيخ يناهز الستين من العمر قد وخط الشيب راسه وشاربيه تلوح عليه علائم الضعف والانحطاط وكان الى جانبه امرأة لا تجاوز الثلاثين من العمر لطيفة الزي جميلة الصورة وكأنها دون ذلك لما عليها من دلائل الزهو والدلال وهي امرأته الثانية اي خالة الشاب

وكان ايضاً الى الجهة المقابلة منهما شاب وشابة يتهامسان الحديث وكلاهما ماخوذٌ بحديث الآخر مائلٌ اليه بكليته

فلما دخل القاعة قام اليه الشاب الذي كان بقرب الابنة وسلم عليه باحتفاء

اما البقية فلم يبرحوا امكنتهم الاَّ انهم كانوا ينظرون اليه ببشاشة حتى جلس فنظرت اليه خالته وقالت له اين هديتك الى عروسك يا أَفريد

فدعا الفريد الخادم ان ياتيه بالبقجة فلما اتى بها ونظرتها خالته لم تستطع الا ان تظهر الدهشة قائلةً ما هذا الذوق اللطيف في اختيار هذه البقجة. فأَخذها الفريد من الخادم وفضها واخذ منها ساعة محجرة بحجارة كريمة وقدمها الى خالته هدية العيد فقبلتها منه وهي تقول جعل الله ايامك اعياداً تتلالأُ بالمسرَّة تلألؤَ هذه الجواهر .

ثم قدم لها منديلاً من الحرير الابيض مطوياً على ربطة رقبة عليها دبوس من الذهب اعلاه على شكل قلب الانسان مزين بحجارة من الماس وفي وسطه ياقوتة تزيده جمالاً وقال لها هذه الهدية برسم الخواجه انيس فاذا جاء في الغد لمايدتي تكرمي بتقديمها اليه

ثم كشف لها هدية عروسه فاطنبت بمدحها واعجبت بها لانها كانت مما يتفاخر به وفي اثناء كشفه تلك الهدايا كانت عينا الشابة تتطاير شعاعاً ووجهها يقطف منه جلنار بادية عليهـا دلائل الاضطراب التي لا تخفى على المتفقد البصير مع محاولتها اخفاء ذلك وكانها كانت تحاول الكلام فتمنعها شرور فؤادها عن ذكر ما يتضمن مدحه ولم ترَ باباً لمذمته

اما الفريد فنظر اليها بمظهر بسيط وقال لها لما لم تساعدينا برأْيك ياسيدة نور . فقالت وقد رمقته باستخفاف قد بلغت هذه الهدية غاية الزهو والتفتت الى الشاب الذي بقربها وقالت له اليس الامر كذلك يا كريم

فقال لا ريب في ما تقولين فان هذه الهدية تبرهن عن ذوق الفريد

اللطيف وكان كأنه يتكلم بمظهر صادق

اما الفريد فتغافل عما لاحظه من مظهر نور واجاب على الكلام حسب منطوقه شاكراً لهما ثم حول نظره الى والده وقال له كم اكون سعيداً لو تذهب معي الى بيت عمي فنقضي بضعة ايام عندهم نعين بها ميقات الفرح

فقال له والده يا حبذا يا ولدي غير ان العيد غداً ولا يمكننا مبارحة البيت لاقتبال المعايدين فكيف بالسفر الى الاسكندرية فاذهب واقض ما انت قاض وفق الله مسعاك ونحن نكون هنا على استعداد لترتيب حفلة الفرح

فقال الفريد اذا كان لا بد من سفري وحدي فارى ان اسافر على قطار الليل كي اكون صباح العيد عندهم

وبينا هم بالحديث اتى الخادم يدعوهم للعشاء.

﴿ رقعة الدعوة ﴾

عندما اتى الخادم ليدعوهم للعشاء قال كريم انبئكم بسوء حظي هذه الليلة لسفر الخواجه الفريد فقد جئتكم طالباً ان ترافقونا الى الاوبرا ليتمّ سرورنا بالاجتماع معكم لانه سيشخص فيها هذه الليلة رواية لطيفة جداً

فنظر اليه الفريد بنظر شمل به كريماً والسيدة التي بقربه وقال والضحك ملء فمه التعجب كيف تجسر ان تفوه بمثل هذا امام السيدة نور فكأن وجودها لا يفي بسعادة حظك

فاطرقت الفتاة خجلاً اما كريم فقال ما اقدرك على الفتنة فالتفتت وردة خالة الفريد وقالت (حسماً لهذه التجملات) وهل حماك ليسا بناهيين معك

فقال نعم وقد تقدمتهم لاعلم حضراتكم حتى تكونوا على استعداد ريثما ياتيان فنذهب جميعاً

فقالت وردة اما انا فاعتذر عن نفسي لانه في الامس قد استولى علي السهاد واراني هذه الليلة في حاجة زائدة الى الراحة فلعلّ ابراهيم يذهب معكم. واشارت الى زوجها

فاعتذر زوجها ايضاً بدعوى قصدهِ الذهاب الى المحطة مع الفريد وبينما هم في الحديث وصل حموا كريم فسلّما ولما لم يقويا على اخذهم معهم ودّعاهم وذهبا مع كريم وخطيبتهِ

﴿ المخبأ ﴾

وبعد ذهابهم توجه الفريد ووالداه الى العشاء ومكثوا بعده الى الساعة العاشرة ثم استعدّ الفريد للسفر فقام معه والده وكان ولوعاً به محباً لمرافقته فلما همّا بالخروج من البيت دنا الفريد من خالته ليودعها فودعته وفي هيئتها شيء من الاضطراب ما خفي عليه ولكنه نسبه الى ما اعتاد ان يراه فيها من البغضاء والحسد

اما هي فبعد خروجهما من البيت دخلت غرفتها وقد لازمها نوع من الاضطراب المخيف حتى كادت تعدم صوابها فصارت تقعد حيناً وتقف آخر ثم قربت من احدى شرف غرفتها وكانت تطل على النيل المبارك ضارباً به نور القمر من خلال الاشجار فيصوّر منظراً لطيفاً يقصر القلم عن وصفه او بالاحرى هو محل تصوُّر الشعراء من هدير الماء وهزيم الهواء وحفيف الاشجار

اما هي فكانت لاهية عن هذه المناظر وكأنها كانت ترقب مجيء احدٍ وبينما هي تائهة النظر انتبهت بغتةً وكأن الساعة نبهتها لانها دقت نصفاً بعد العاشرة نخفت وخرجت من غرفتها دون ان يشعر بها احد من الخدم الى ان وصلت الى باب سريّ ففتحته بتأنٍ وخرجت منه الى الحديقة وصارت تتخلل الاشجار وهي تحاذر ان يراها احد على هذه الحال وخصوصاً لانه قرب ميعاد مجيء زوجها من المحطة ثم اقتربت من جدار الحديقة واطلت الى ما وراءه وهي تهتز من الاضطراب والخوف الى ان احست بوقوف عربة على باب الحديقة فعلمت بمجيء زوجها فعادت حتى لا تجعل عنده مظنة ثم سمعت صوتاً من وراء الجدار يقول اتيت . لا تذهبي فالتفتت وقد خشيت الفضيحة واذا بشبح يخف في سيره فلم تستطع الاَّ مقابلته فلما قرب منها وهو خارج الجدار وهي داخله صارت تهتز لعظم الاضطراب حتى لم تكن تستطيع الوقوف فاستلقت على الحائط بصدرها وقد نسيت ان زوجها صار في البيت

فقال لها الشاب وكان طويل القامة لطيف تقاطيع الوجه لا يتجاوز الثلاثين من العمر ها أنا ذا ايتها الحبيبة وان تأخرت عن الميعاد المضروب فاعذريني لاني لا اشك باني سببت لك تعباً ومخاوف كثيرة . اما هي فلم تستطع مجاوبته وقد جمدت عيناها به

قال لها . ما بالك يا حبيبتي على هذه الحال لعل الامر لم يتم على ما اردت ولم يسافر الفريد

فاجابته وصوتها يتلجلج زوجي ... زوجي اتى .. البيت . الآن واخشى الفضيحة لكن الامور قد تمت على ما نريد والفريد سافر هذه الليلة الى

الاسكندرية ثم انقطع كلامها وكأنها تذكرت ذكرى مخيفة فقالت لا ... مسكين ...

فقال لها انا هو حبيب بقربك تيقظي ولا تتكلي في عالم الغيب فكأنك تخوفين مما يتهدد حبنا من العقاب العتيد ايتها الجميلة التي لم ينصفك الدهر الاَّ بقرب من هو الى مخاطبة الاموات اقرب منه الى مخاطبة الاحياء

قالت كلاَّ . سافر الفريد والامر تمَّ على ما نريد وقد انجز المدية وجاء بها الى كاتب سرّهِ الوحيد انيس واعطاني اياها لاقدمها له فهل اتممت ما كلفت به

قال نعم هاك العلبة والورقتين فكوني شجاعة ولا تدعي جزعك يتغلب على شجاعتك ثم ودعها بقوله استودعك الله الآن خوف ان ينبه الشيطان زوجك فيسأل عنك ولكنني اظنهُ لم يصل البيت لاننا لم نتأخر اكثر من دقيقتين . قال ذلك وذهب

اما هي فهرولت في الحال الى البيت وكان زوجها في غرفه يغير ثيابه فلم يشعر بدخولها

﴿ صباح العيد ﴾

بينما كان الفريد في الاسكندرية جالساً الى عروسٍ جملها الله باكرم ذات واشرف صفات يصوّر لها سعادة مستقبلهما وكانت وخالته في مصر قد احيت الليل لايقاعه في ابشع تهلكة واشنع شراك

فلما كان صباح العيد استعد والد الفريد للذهاب الى الكنيسة وقد سأل امرأته مرافقته فاعتذرت اليه بدواعي اشغال بيتية وحملته على الذهاب وحده

وقالت له ان يذهب من الكنيسة توّاً الى بيت اهلها لانهما كانا مدعوّين عندهم للغداء وانها عند انجازها اشغالها البيتية تأتيه الى بيت اهلها حالاً

فبعد ذهاب والد الفريد بقليل من الزمن اتى انيس كاتب سرّ الفريد ليقدم له فروض المايدة حسب العادة فلم يرَ في البيت غير السيدة وردة خالة الفريد فاقترب منها باحترام وقدم لها واجبات المايدة ثم سألها عنه فقالت له ذهب ليلة امس الى بيت عمه في الاسكندرية لتعيين ميقات الفرح وقد استخصيك بهدية ساقدمها لك عندما تقضي له هذه المهمّة وهي ان تذهب الى بنك . . . . وتقبض له هذه الورقة على الخواجا موسى ش ودفعتها اليه ثم اعطته ورقة ثانية وقالت وهذه ورقة منه تؤذن بدفع القيمة لك

قال سمعاً وطاعة

فقالت وبعد ان تقبض القيمة تنتظرني في اول شارع محمد علي لاني ذاهبة اليه الآن فتعود بمعيتي لادفع لك امانة الفريد فاعاد قوله سمعاً وطاعة ثم اخذ الورقتين وذهب

وكانت قد ارادت بمقابلتها اياه خارج البيت خوفها من اطلاع احد على هذا الامر

وبعد ذهاب انيس بنصف ساعة توجهت الى المحل المعهود فرأته قد انجز مهمته وهو ينتظرها فلم تتمالك حينئذٍ ان ارتعشت بالرغم عنها وكانها احست بتبكيت الضمير فامتقع لونها

اما هو فلما رآها ارتكض اليها فرحاً لسرعته بقضاء مهمته ولم يلحظ منهما شيئاً من الاضطراب بل دفع اليها محفظة ملأى من «الجنيهات» وقال لها

احصيها يا سيدتي فقالت له الم تحصها ووضعتها في جيبها حالاً ثم طلبت اليه الركوب معها الى البيت لتدفع له هدية القريد ولما وصلاه ادخلته الى قاعة الاستقبال ودخلت هي لتأتيه بها ولكنها تأخرت اكثر من الاقتضاء ولما خرجت كانت تعلوها علائم الاضطراب فلحظ انيس عليها ذلك غير انه لم يجسر على مفاتحتها به اما هي فنظرت الى المرآة فجأة وقد رأت ما يظهر عليها من علائم الاضطراب فاصطكت ركبتاها حتى كادت لا تستطيع الوقوف وخشيت انكشاف الامر ولكي تدفع هذه الريبة تجلدت استطاعتها وقالت ربما يكون قد رابك مني هذا التغير البادي على وجهي فاني تذكرت مصاباً جرى لصديقة لي اعزها معزة نفسي كاد يقضي عليها ضحية اغراض الاشرار وذلك انه قد تقدم بطلب هذه الابنة احد الوجهاء فلم تقبل به ثم احبها احد الشبان المهذبين وكان شخصه محبوباً عندها فطلبها من ابيها وقد تم له ذلك وبمدة الخطوبة سافر الى الصعيد بمهمة وباثناء سفره كان عيد رأس السنة فاتى تلك الابنة على طريق البوسطة كتابٌ وعلبة من الحلوى اما الكتاب فكان مجتزءا لئلا يظهر به التزوير وهذا منطوقه

عزيزتي ....

اقبلي مني هذه الهدية الحقيرة وفي الغد سأكتب اليك مطولاً

محبك ...

فلما قرأت الكتاب وفضت علبة الحلوى اتت بها الى زائراتها وكنت انا ممن حضر وقد اكلت قطعة منها كادت تقضي عليّ اما الابنة فكأنها اكلت اكثر منا حتى اثر بها السمّ الى حدّ ان قضى عليها ضحية حقد الاشرار فلما

تذكرت هذا المصاب تأثرت منه على الرغم مني فاضطربت هذا الاضطراب البادي عليَّ

فصدق انيس حكايتها وخفض عنها ثم اخذ هديته وودعها وسار الى بيته

﴿ التسمّم ﴾

فلما خلا انيس الى نفسه دخل غرفته وفض الهدية ليرى ما فيها وكان فيها فوق ما استخصه به الفريد علبة من الفضة لطيفة الشكل وفيها شيء من الحلوى فلما فتحها ورأى ما بها صار مبهوتاً لانه لم يرَ محلاً لحلوى بمثل هذه الهدية ولكن ثقته بالفريد لم تدعهُ يطيل التفكر والنظر لكنه نسب ذلك لعظم حبه له قد اختصه بهذه الحلوى التي ربما يكون فيها شيء تمتاز به على سواها حتى استحقت الهدية بمثل هذه العلبة الثمينة فلما تناول اول قطعة منها شعر بطعم لذيذ يختلف عما اعتاده من اكل الحلواء فاردفها بالثانية والثالثة وهو يتوهم انها ربما تتضمن شيئاً ثميناً من المجوهرات موضوعاً داخل الحلوى بطريقة هزلية

ولم يمض على اكله هذه الحلوى برهة قصيرة الاَّ واحس بمغص فظن ذلك لانه اكلها على فراغ المعدة فنادى والدته وطلب اليها ان تاتيه بشيء من الماء ولكنها ما كادت تأتيه بما طلب الا وهو يناديها مستغيثاً فرجعت اليه واذا به يشكو ازدياد المغص واخذ يتقيأ وقد تغيرت هيئة وجهه فسالته عن السبب فاطلعها على الامر

اما هي فصرخت ربما سمٌ يا ولداه

قال وكادت روحه تبلغ التراقي لا يصدر مثل هذا من الفريد لانه اكرم

الناس وهو يجبني محبته لنفسه

فاعادت تلك المسكينة صراخها وادمعها تتناثر سمٌ سمٌ قاتلهم الله وشرعت في العويل حتى تراكضت الجيران على صراخها وقد بعث من ياتي بالطبيب ولكنه لم يوافهِ الا وهو يردد النسمات الاخيرة من حياته ويقول خيانة · عظيمة · لا · · لا تظنوا · · بالفريد · · سو!! · · آه · · هذه المخادعة · · هي · · · حكت · · · آه · · · خا · · نة واسلم الروح

اما الطبيب فاطّلع على العلبة وكان لا يزال فيها شيءٌ من الحلوى واقرّ على وجود السمّ فيها وقد بعث خبرًا الى المحافظة

فلنترك ذلك المسكين على فراش الموت وقد بعثت المحافظة من يبحثون عن الامر وناتي الى بيت الخواجه ابراهيم والد الفريد

﴿ التزوير ﴾

بعد ذهاب ذلك المسكين من بيت عقيلة ابراهيم بما فيه حتفه اخذت تلك المرأة القاسية مخاوف كثيرة منعتها من الذهاب الى بيت ابيها وكان الاله اراد ان يقتص منها في الساعة فاصابها بحمى شديدة القتها في الفراش فبعثت احد الخدم ان يذهب ويدعو لها زوجها فلما بلغه ذلك اتى وقد تبعه اهل امرأته محمولين بالعواطف الاهلية للاستعلام عن مرضها

وفي الظهر بينما كانت غرفة المريضة ملأى بالزائرين والزائرات كان رجل في الباب يطلب مواجهة الفريد وهذا الرجل بين الاربعين والخمسين من العمر حليق الذقن حاد البصر اسود الشعر فدخل الخادم واعلم سيده بالامر

فقال فليدخل ولما رآه ابراهيم قام اليه واقبله بهشاشة وبشاشة ودخلا معاً الى قاعة الاستقبال اما الزائر فكان مظهره يدل على انه في غضب غير راض عن هشاشة ابراهيم واحتفائه به .

فلما ادرك ابراهيم منه ذلك اخذه العجب فسأله عن السبب فما كان جوابه الاّ انه نزع من جيبه محفظة واخذ منها ورقة واراها لابراهيم قائلاً هل من الممكن ان يحصل مثل هذا من الفريد

فبهت ابراهيم في مكانه وكأنه اخذته الدهشة فقال بربك يا خواجه موسى افصح · ماذا · تزوير · ولدي المزوّر · لا لا أيتخذ مثل هذه الطريقة الذميمة · معاذ الله · لعل في المسألة سوء تفاهم · راجع الصرّاف ابحث عن محل الغلط

- راجعت كثيراً وافتكرت كثيراً ولم ارَ الاّ ان يكون الفريد المزوّر وهذا بعيد عن التصديق او كاتب سرّه الذي قبض القيمة هذا النهار من الصرّاف

- هذا النهار · وابني من امس في الاسكندرية ومن هو هذا الرسول يا ترى

فاراه ورقة اخرى بتوقيع الفريد تؤذن بدفع القيمة الى مؤتمنه انيس

فلما رآها ابراهيم أمرّ يده على جبينه كمن يتذكر امراً ولعله راجع تاريخ اشتغال انيس عندهم اذا كان فيه ما يقرب من الخيانة ثم قال وهذا لا اشك بامانته واستقامته ولكن · وسكت برهة ثم قال اذا لم يكن في الامر غيره والفريد فالاقرب الى الذهن ان يكون هو وربما الحاجة سوّغت له مثل هذه الخيانة

اما ولدي والحمد لله عدا عما هو مشهور عنه بين عملائه من الامانة وشرف النفس فهوّ في نعمة تجلّه عن التداني الى مثل هذا الحد وانت تعلك

تعلم بما له من سابق الصدقات التي كان بعضها يتجاوز مثل هذه القيمة

فقال موسى لو لم اكن في شك من ذلك لما اعلمه عنه من كرم الذات وشرف الصفات وسعة الثروة التي تجله عن التداني الى مثل هذه الاعمال الفظيعة ما اتيت الى بيته لاطلعه عن مصدر هذه الخيانة بل كنت اطلعت عليها الحكومة رأساً وهي المطالبة بكشف الحقوق اما الآن فاليك افوض كشف هذا المخبإ لئلاَّ ينتج عنه ما ربما يحط بشرفكم لا سمح الله

قال ابراهيم انت استطلع انيس وتهدده وانا اكتب الى الفريد بالامر لانه في الاسكندرية في بيت عروسهِ وقد ذهب لتعيين ميقات حفلة الفرح ولا اظنه يتأخر اكثر من يومي العيد

﴿ الشُّرَط ﴾

وبينما هما آخذان في الحديث اتى الخادم وهو يقول سيدي .. سيدي الشرَط في الباب يطلبون سيدي الفريد

فنهض ابراهيم مذعوراً ولما وصل الباب رآهم يحاولون الدخول فسألهم عن السبب

فقالوا انا مأمورون بالقبض على الفريد

قال ضاحكاً ولدي الفريد ليس هذا من تطلبونهُ فارجعوا وتأكدوا من تريدون

قالوا ولدك بنفسه هذا الذي نطلبه وهذا الذي نريده

قال لهم لا تطيلوا الشرح فانتم جاهلون الطلب وماذا تريدون منه

ـ اوامر مشددة تأمرنا بالقبض عليه حالاً وكان معهم واحد من اهل انيس فقال للشرط ادخلوا البيت وفتشوا فيه وهل سمعتم ان القاتل يفتح صدره للشرط لكي يقبضوا عليه

فقال ابراهيم قاتل .. ولدي .. اذهبوا من هنا ولا تطيلوا فلا شك انكم تهرفون بما لا تعرفون ومع ذلك فولدي ذهب الى الاسكندرية في مساء امس

فصرخ قريب القتيل قائلاً ألا يكفي فظاعة ماجناه ولده حتى يحاول تبرئته ويتجاهل او يجهل ان ولده من يتظاهر بمظهر القداسة قد دسّ السمّ لرجل وقف كل آماله على خدمة مصالحه قاتل الله الاشرار دسّ له السم طيّ ما اهداه اليه. انت ايها الرجل الظاهر بمظهر الفضل خف العقاب وقدّم ولدك الى الحكومة العادلة

فلما سمع الذين في البيت صراخ الشرط تراكض الجميع من غرفة المريضة ليستطلعوا الخبر

اما هي فحاولت النهوض فلم تقدر وقد تضعضعت حالها وتلاشت قواها وصارت كانها بين حية وميتة ليس خوفاً على زوجها لانها لم تكن تحبه وما تزوّجت به الأ حباً بماله لانه كان يكبرها كثيراً او بالاحرى هي اصغر من ولده الذي سعت في اهلاكه بل استعظاماً لجنايتها وقد خافت ان تكشف جنايتها فتموت ضحية شهواتها وتخسر كل هذا النعيم ولما طرأ عليها هذا الفكر غابت عن الوجود

﴿ التخفي ﴾

لندع الجند في بيت ابراهيم ونرجع الى الاسكندرية حيثما ذلك الشاب

الفاضل الذي ذهب قصد تعيين ميقات الاحتفال بفرحه وكان جالساً الى عروسه يصوّر لها سعادة مستقبلها لانهما شابان قد جمّلها الله باكرم الصفات واشرف المبادئ مع جمال بارع وشرف اثيل وخصوصاً ان حبهما صافٍ صادقٌ شريف فمن يراهما جالسين وعيونهما ملأى بدموع المحبة والاخلاص ولا يغبطهما على هذه السعادة فكأن الدهرَ قد حسدهما عليها فسلبهما اياها قبل امتلاكها

ففي الساعة الثانية بعد الغداء خرج الفريد مع اخي عروسه يجولان في شوارع الاسكندرية ويتفرجان على زهاتها وبهجة بنائها آخذين باطراف الحديث مرتاح كلٌّ منهما الى كلام الآخر حيناً يمدحان من زهاء العيد في الاسكندرية وحيناً ينتقدان ما يأتيهِ من المفاسد والمحرمات وبينما هما آخذان باطراف الحديث فاجأهما ابو العروس وعلى وجهه شيءٌ من الاضطراب ما خفي عليهما فسألاه عن السبب خيراً باذن الله

فقال خير ان شاء الله ثم اخذ الفريد جانباً واسرَّ اليه ان الجند اتوا البيت قصد القبض عليه باوامر مشددة

فقال بدهشة وكأنه لم يبال بالامر لانه يعلم براءة نفسه اظنهم يا عم يطلبون سواي وقد اشتبهوا باسمي

ربما يكون ذلك الا ان ادلتهم تنطبق عليك كل الانطباق

قال الفريد هيا بنا يا عم الى المحافظة لنتأكد الخبر لعل فيه سوء تفاهم

كلاّ يا ولداه فانه يلزمك التخفي حتى انك تغيّر زيَّك واسمك ولا تتكلم الا بالافرنسية الى ان نفهم حقيقة الامر فلعلك متهمٌ بما يتعذر التخلص منه

لاسمح الله لاني قد ادركت من كلام الجند انك متهم بجريمة القتل وسواء كان ذلك صادقاً او كاذباً لا يحسن بك ان تظهر نفسك الا بعد استطلاع الحقيقة

فقال لقد اكثرت من المخاوف يا عماه ولم ارَ في الامر ما يخيف وعلى فرض اني متهم فالحقيقة لا بد ان تظهر

قال عمه ليس فقط اطلب اليك الاستتار بل اخشى ان وقوفك هنا يترتب عليه ان يعلم احد ممن اطلع على الامر فيعلم الشرط به فلا تأمن غائلته . ثم استوقف عربة وركب هو والفريد بعد ان قال لولده الذي كان مع الفريد ان يذهب الى البيت واذا راى احداً يسال عنه ان يقول له كان هنا صباحاً ولم نعد نراه ولعله سافر

فساله عن السبب فلم يمهله والده بل قال له اذهب الآن فليس في الامر ما يكدر فساعلمك السبب عند رجوعي ثم اشار الى السائق فسار الى ان وصل بهما الى مكان بعيد عن السكن فنزلا من العربة وصرفا السائق وهناك اتفقا بعد طول البحث ان يذعن الفريد لنصيحة عمه وان يتخفى في بيت احد اصدقائه يكون حماية دولة اجنبية لكي لا تعلم به الحكومة ثم حذره عمه من ان يبعث من يطلب له مكاتيب من البوسطة فيتصلوا بذلك الى محل وجوده

فاجاب الفريد عمه مراعاةً لخاطره ريثما يستكشف الخبر بالتدقيق من مكاتيب مصر او من الجرائد المحلية وقد توجه الى بيت احد اصدقائه من رعايا دولة فرنسا وكان بينهما روابط ودية ومحل سكنه بقرب المسلة الى ناحية البحر فدخل عليه وقد اطلعه على الخبر فرحب به وهوّن عليه

اما عم الفريد وكان اسمه اميناً فذهب حالاً وبعث الى احد

اصدقائه في مصر يستعلم منه عن تفصيل الخبر وان يبعث له الجواب بعنوان احد اصحابه سليم . . . خوفاً من ان تشتبه به البوسطة فتعمل على فضهِ لانه هو اوّل من يلوذ بالمتهم به

وفي ثاني يومٍ اتى الفريد كتاب من مصر بعنوان صاحبه سليم بتفصيل الحكاية وهذا نصه

عزيزي امين . . . طال بقاؤك

لقد ساءني والله اعلم ما اتهم به ذلك الرجل الشهم وحقيقة الخبر الشائع هنا هو ان الفريد كلف مؤتمن اشغاله في صباح عيد رأس السنة ان يذهب ويقبض له تحويلاً على بنك . . . من موسى . . . بمبلغ ٣٠٠ جنيه وايضاً قد ارفق مؤتمنه بورقة منه تؤذن بدفع القيمة الى انيس كاتب سرّه فقد قيل ان انيساً قبض القيمة صباحاً وبعد ذلك بثلاث ساعات مات مسموماً بحلوى مهداة له من الفريد ويقولون ان الفريد اراد قتله لكي ينسب التزوير له

والبعض يقولون ان المسألة على خلاف ذلك لانه لا يعقل ان غنياً كالفريد وشريفاً مثله يرتكب مثل هذه الجناية لكسب مبلغ هو اقل من بعض حسناته والاغرب من هذا ان هذه القيمة لا يعرف مكانها فالذي قبضها مات بعد ذلك بساعتين والفريد المتهم ليس في مصر ولم يبعثها اليه بالبوسطة في هذه المدة القصيرة

وقد اتهم بعضهم خالة الفريد لان القتيل قد اشار الى ذلك وهو يردد النسمات الاخيرة بقوله لا تتهموا الفريد خالته حكت . واسلم الروح . وعلى كل الاحوال فالله لا يغفل عن القوم الظالمين . كاتبه . . . .

فلما قرأ امين الكتاب اخذته الدهشة ولازمه نوع من الجمود حتى كاد يغيب عن الصواب خوفاً على الفريد فطواه وذهب توّاً اليه وهو خائف ان يكون احد البوليس السري متأثراً خطواته فمرّ في طريقه على بيت احد اصدقائه ليدفع الشبهة وكان لهذا البيت باب آخر يوصل الى جهة البحر فتربص هناك حتى لم يرَ احداً من المارة ودخل الى المكان الذي فيه الفريد وكان ينتظره على مثل الجمر فلما قابله قال اهلاً وسهلاً بالعم لعلك اتيتنا بالخبر اليقين *

قال وهو كذلك وكادت ادمعه تتناثر ودفع اليه الكتاب فلما قرأه كاد ان يعدم صوابه ولازمه نوع من الاضطراب المخيف وهو يقول بئس الخيانة الآن قد فهمت كيف كانت تضع لي السمّ في الدسم تلك الامرأة القاسية المجرَّدة من العواطف البشرية · تباً لك ايها الانسان الضعيف كيف تأخذك الظواهر ويغشك الرياء · الآن فهمت ما كانت تقصده من تقليد توقيعي · تباً لما لقد اوصلتني الى حتفي بيدي · ماذا اقول · يا لله من النساء الشريرات · كيف قدرت ان تخفي شرور فؤادها كل هذه المدة

وكان الفريد قد ادرك الخيانة وفهم تفصيلها وذكر لامين عنها وعن مصدرها كما سيأتي بالتفصيل في حينه فمن يقدر ان يصف حالة ذلك الشاب الاديب النفس الشريف المبدإ وهو على مثل هذه الحال يتنازعه يأسه من الحياة التي كان يراها ظلاماً واسفه على حبيب اوقف كل آماله وحياته في سبيل حبه · واتهامه بقتل من لا يريد له شراً بل يتمنى له كل خير · والانتقام ممن جلبت له هذا المصاب وهي من اقرب الناس منه · من يقدر ان يدرك درجة اليأس التي كان فيها ذلك الرجل المسكين · وقد طلب الى امين ان يظهر نفسه الى الحكومة

ويبرهن عن براءة ساحته فمنعه عن ذلك لان ليس لديه من الادلة ما يدفع عنه الشبهة فيخشى ان يكون الويل الثاني شراً من الاوّل ريثما يتصلون الى ما يكشف الحقيقة. وقد املهُ بالفوز القريب وودعه وسار فاطاعه الفريد لعلمه ان التستر آمن له فاختلى بنفسه وكان يستعظم مصيبته حيناً فيهون عليه الانتحار تخلصاً من الاهانة التي ربما تلحقه ثم يفتكر بحبيبته فيطمع بالحياة ويتطلب الانتقام من تلك الشريرة ويبكي على ذلك الرجل الامين الذي قضى ضحية اغراض الاشرار وكان يزيد اضطرابه عندما يتصوّر ان الشائع عنه بانه هو الجاني على ذلك المسكين طمعاً في دُريهمات لم تكن لتغر مثله في شرف النفس وسعة الثروة. هذه حالة ذلك الفاضل. فلما مرّ عليه بضعة ايام ولم يرَ وجهاً للتخلص من هذه المعضلة ازداد يأْسه فصار كلما خلا بنفسه يدخل غرفته التي خصصها له صديقه ويأْخذ في الكتابة حتى كتب مجموعة كبيرة وكان قد مرَّ على بقائه في الاسكندرية زهاء عشرين يوماً اكثرها في بيت صديقه بعيداً عن الاهل والاحباب حتى لم يدرِ بمكان وجوده الاَّ عمه واهل بيته وقد اخفوا ذلك عن كل معارفه حتى اعزّ اقربائه في الاسكندرية وهم اقرباء والدته وكانوا يعزونه معزة نفسهم وقد سعوا ليعرفوا مكان وجوده فاخفى امين عنهم ذلك خوف ان تفضي كثرة الترداد عليه الى ما لا تحمد عقباه. وكان الفريد في كل هذه المدة كمن هو في سجن محظور عليه فيه مقابلة الاحباب وخصوصاً من لم يكن يتطلب الحياة الاَّ لها تلك التي اوقفت كل آمالها وسعادة مستقبلها عليه. فمن يقدر ان يصف حالتها بعد وقوع هذا الحادث وقد تحوّل فرحها الى ضده فكانت لا يقرُّ لها قرار ولا يطيب لها مقام الآن ترى حبيبها

فتشكوه جور الزمان واشتغال البال وتباريح الهوى واذا خلت الى نفسها ذهل عقلها وطاش لبها وضاق صدرها وهي تردد

حبيبي اني قد عييت من البكا فهل عند غيري عبرةٌ استعيرها

حبيبي ...

لم يبقَ الأ نفسٌ باهتُ ومقلةٌ انسانها باهتُ

فتلازم البكاء حيناً وهي تكاد تعدم صوابها حتى يفاجئها احد اهلها وهي على هذه الحال فيهوّن عليها ويهدئ روعها ويؤملها بسلامة حبيبها وبراءة ساحته وهي لا تزداد الا حنيناً وتظلماً · وكانت تترقب الفرص فتذهب خلسة الى مكان الفريد فتتنسم نسيماً اتى من عنده وتبحث عنه ما امكن واذا امنت وجود الرقباء بعثت اليه تستقدمه فتكشف له قلبها وترغبه في الحياة · اما هو فما كان يراها الا وينذهش عقله ويشخص اليهـا بصره فيتجاوز به العشق حده وتشتغل بخدمتها جوارحه وربما زادت به الحال فغشي عليه وهو في اصعب حال وهناك موقف ما كان اصعبه على تلك المسكينة

هكذا كانت حالة هذين العشيقين من آلام النوى وتباريح الهوى وقد مرَّ على الفريد عشرون يوماً وهو متخفٍّ يخشي ان يصدر عليه حكم غيابي يأمر بقتله فتطلب الموت بعيداً عن الاهل والاحباب بطريقة خالية من العار والاهانة · ففي احدى الليالي ذهب سرًّا الى بيت عمه بعد ان غيَّر زيه وتزيا بزيّ رجل فرنساوي الجنس فلما دخل عليهم استغربوه ولكنهم ما تاملوهُ قليلاً حتى عرفوه فتأهلوا به واحلوه محلاً عزيزًا وهم يهونون عليه الامر اما خطيبته فما رأته الاَّ وكاد يهرب الدم والروح معاً من جسدها وقد غازلت عيناها وابرقت

اسرتها ولازمتها رجفة الحب فلم تقوَ على الكلام اما هو فشاركها في هذا الاضطراب الخفي وقد نسي ما اتى من اجله وغاب عن باله الخطر المحدق به والتهلكة التي تتهدَّده ُ وصار كمن اخذته الدهشة فحاول الكلام فمنعه الرجفان المتزايد فتجلد وبدأ الكلام بقوله احسُّ ان البردَ متوزّع في كل جسدي ولعله اثر الخوف المتسلط عليَّ واراد ان يتلاهى ويتناسى هذا التأثير فطلب مشروباً روحياً من الكنياك وشرب منه مقداراً فلم يقوَ على ملاشاة هذا الاضطراب الخفي ولكنه ضعفه حتى امكنه ان يجول بالحديث فيتناساه فساله امين عما يتراءى له في الامر

فقال ان ما اراه هو احد امرين فاما ان اتأكد براءتي فلا اخشى من اظهار نفسي للحكام ومدافعتي عن حقوقي او لا فحينئذٍ اتطلب الابتعاد عن هذه البلاد الى ان يقضي الله امراً كان مفعولا لاني اخشى ان يصدر عليَّ حكم وانا في هذه البلاد فلا آمن من ان تصل ايدي الحكام اليَّ فاقع في اسوإ حال وشرّ بال

قال امين لا اخال الامر صعباً بمقدار ما يتراءى لك فالحقيقة لا بد ان تظهر

قال ربما كان ذلك وانما الدلائل قليلة فافضل ان ابرح هذه البلاد وانتظر ما يأتي به المقدور

قال عمه والى اين

قال لا اقصد مكاناً مخصوصاً ولكني افضل ان يكون ذلك في اقرب آن ولعله يكون في الغد على الباخرة الخديوية

قال وكيف يمكنك التخلص من الميناء وربما كشف الامر لا سمح الله

قال قد اتفقت مع المسيو انجلو ... ان يعطيني «الباسبورت» وهو يشبهني كل الشبه ولم يمرّ على مجيئه من باريس اكثر من ثلاثة اشهر

جرى كل هذا الحديث ونزهة تكاد تغيب عن الصواب وقد ترقرقت عيناها بالدموع ومنعها الحياء من الكلام بهذا الصدد حتى تأكدت امر السفر فقالت احقاً ما تقول يا الفريد

قال الا ترين ذلك يا عزيزتي

قالت كيف ارى ذلك... وخنقتها العبرات

فخفض عنها وغير الحديث اشفاقاً عليها وهو يقول الله يأتي بما به الخير

وبقوا كل تلك الليلة كيفما حوّلوا الحديث يعودون الى امر الفريد لانه هو الشاغل الوحيد الآخذ بافكارهم وفي آخر السهرة استأذنهم بالذهاب الى بيت صديقه فعارضوه اولاً ولكنهم اذعنوا له لما علموا ان وجوده في بيتهم ربما يترتب عليه انكشاف حاله للشرَط فذهب الفريد من عندهم وعيونهم تشيعه وقد هلعت قلوبهم عليه وخصوصاً تلك التي هرب قلبها بذهابه فدخلت غرفتها وقد حدثتها نفسها مراراً ان تأثره خوفاً من ان تتغلب عليه عواطفه فيذهب بحياته رخيصة او ان تصوّر له السفر وهناك لا يؤمن عليه . فبقيت هذه المسكينة طول ليلها لم تذق طعم الكرى وهي عرضة للهواجس والمخاوف

﴿ السفر ﴾

وعند الساعة الثامنة صباحاً كان الفريد ماراً بسرعة من سكة المسلة في الاسكندرية وهو مقطب لا يلوي على شيء الى ان وصل الى البوسطة الفرنساوية

فاستخرج من جيبه رزمة اوراق ذهب بها الى مكان تأمين المراسلات فدفعها الى المستخدم الواقف هناك واخذ منه وصلاً بها وعاد سراعاً فركب عربة وقال للسائق الى المينا وكان قد غير هيئته وتزيا بزي الافرنج لا يتكلم الا بالافرنسية حتى يخفي كونه من ابناء العرب ومع هذا التخفي كان يعلوهُ شيء من الاضطراب واصفرار السحنة لا يخفى على البصير فلما صارت العربة على مقربة من المينا التفت بغتةً فرأى سيدة تتأمله وعليها علائم الاضطراب وكان لباسها على الزيّ الشرقي متزملة بحبرةٍ فوق اثوابها وعلى وجهها نقاب لم يقوَ على حجب نور الحياة المتلألئ على محياها فلما تأملها مالت اليه فاذا هي نزهة فاوقف العربة وقد اخذته الدهشة وكأنه فارقته الروح والحياة معاً فلما نظرته الفتاة على هذه الحالة خشيت من انكشاف امرها للمارة فتجلدت قدر استطاعتها وسلمت عليه اما هو فنزل من العربة واخذها من يدها واركبها عن يمينه ثم امر السائق ان يقفل العربة واشار اليه ان يذهب الى جانب من الطريق تقل فيه المارة وهناك بادأته بالكلام فقالت الى اين من هنا يا فريد

قال الى المينا فقد عولت على السفر صحبة الباخرة الخديوية

فقالت ألا تزال مصراً على عزمك فلا تشفق ... وخنقتها العبرات

فقاطعها فريد وهو يقول ان بقائي هنا ربما يترتب عليه فقدان شرفي وحياتي معاً فكوني صبوراً ولا تيأسي من رحمة الله

قالت كيف يترتب على بقائك هنا فقدان حياتك لا سمح الله وهذه التهمة باطلة ولعلك تقدر ان تبرّئ نفسك منها وكل اهلي طوع اشارتك

فقال انا وانت يا حبيبتي نفهمها انها تهمة باطلة غير ان الادلة قاصرة

عن اظهار بطلانها

فقالت فاذا كان ولا بدّ من سفرك فاني اسافر معك

قال لا تعرضي بنفسك الى المهلكة وخنقته العبرات

فقالت تلك المسكينة باضطراب : يا الهي ما هذا الكلام يا الفريد الم تدرِ ان امامك من تدعوها ملاكك الحارس وهي تتمنى اية تعاسة كانت ولا ...

وامتنع عليها الكلام لعظم تأثرها وترقرق الدمع في عينيها

فقال لما خفي عنك ياحبيبتي واعلمي ان ماقلته لك صادر عن غير روية لعظم اختباط افكاري ولم اقصد به الا معاناة الاخطار فالعاقل من اخذ الامور باسبابها وانت تعلمين ان بقائي هنا يترتب عليه فقدان الشرف واذا سافرت الى اي بلد وانت بمعيتي ودريت بنا الحكومة فستأتي بنا مهانين وهناك المصيبة العظمى فكيف اسعى بتعاسة ملاك مثلك وقد وهبتك قلباً طاهراً وربطني بك حبٌّ مقدس

– مخاوفك كثيرة يا الفريد والامر على ما اراه ايسر من ذلك كثيراً

قال الفريد من يتكل على الظنون لا يأمن من الوقيعة

– اذا كنت مصمماً فلا بدّ من السفر معك

– حبيبتي لا تزيدي تعاستي لان افتكاري باني سأجلب لك تعاسة او بالاحرى ان ازيد تعاستك يجعلني اتعس خلق الله في عيني نفسي

اما تلك المسكينة فلم تملك نفسها عن البكاء وقد زاد اضطرابها حتى كاد يغمى عليها وهي تقول لا يمكنني مفارقتك لاني بها افارق روحي

اما ذلك المسكين فحار في امره وخاف انكشاف حالهما وقد صارا في

موقف حرج حتى كادا يغيبان عن الوجود فاخذ حبيبته بيدها وصار يهوّن عليها بالفاظ الحنوّ ويؤملها باللقاء القريب اذا انقشعت عنه هذه التهمة الباطلة التي حملته على مغادرة البلاد

وبعد كلام طويل وجدت نزهة استحالة سفرها برضاهُ فتظاهرت باتباع نصائحه ثم ودعته ونزلت من عربته فركبت عربة ثانية واشارت الى السائق على مرءًى منه الى ناحية البيت

اما هو فبهت في مكانه اثر ما اعتراه لفراقها حتى نبهه السائق فقال له الفريد اذهب الى الميناوهناك ذهب الى محل التعليم على تذاكر السفر واخرج من جيبه «بسابورت» مطلاً عليه من القنصلاتو فلم يعترضه احد بالدخول حتى وصل الى الشاطىء فركب زورقاً وذهب الى الباخرة وهناك اخذ غرفة في الدرجة الاولى واختلى بنفسه فيها الى ان اعلنت الباخرة السفر فصعد الى محل الاستراحة ليفرّج كربه فشاهد بين المسافرين سيدة تائهة النظر فلما وقع نظره عليها مالت اليه فتأملها فاذا بها نزهة فاضطربت جوارحه وغاب صوابه فاقترب منها واخذها بيدها وذهب بها الى الغرفة التي تخصه ولم يدر بما يخاطبها وقد قضي الامر واقلعت الباخرة . فلما كانت الباخرة على مقربة من ازمير في آخر الليل كان الفريد ونزهة يخطران على مقدم السفينة باضطراب غير مبالين ببرد الليل . وكانت نزهة تتكلم بالفاظ متقطعة لعظم اضطرابها وهي تهتز من الخوف والبرد ومن كلامها «لا تجهل يا الفريد سموّ آدابك ورقة عواطفك ولطف احساسك مصدر القساوة لاني موقنة بانك لو رجعت الى مصر واقمت متشرعين ماهرين ربما تربح القضية وتبرّئ نفسك من هذه التهمة الباطلة»

قال كم فصلنا ذلك قبل مبارحة البلاد وقد يئسنا من النجاح كما تعلمين حتى اخترت البعاد لاموت ولا يدري بموتي من يعزّ عليهم حياتي ولسوء حظي كان اعزّ الناس عندي من دري بهذا الامر تخاطر بنفسه حتى الموت ثم استدرك مراعاةً لمخاوف حبيبته فقال لما انا في هذه الاحوال ايتها الحبيبة يجب علينا ان نستعمل العقل والحكمة وان نجتهد في تغلب ارادتنا على عواطفنا فهيا بنا ننزل الى مكاننا من الغرفة واطلب اليك عند وصولنا الى ازمير ان تمكث بها ريثما تأتي باخرة قاصدة الاسكندرية فتنهي عليها وانا ابقى هناك لكي احصل من الوسائط ما يرفع عني هذه التهمة وحينئذٍ اسرع بالذهاب الى مقرّ الفؤاد

وعظيم خوفي كونك تركت اهلك على حين غفلة وغادرتهم دون ان يعلم أحد سبب تغيبك فلا شك انهم الآن في ارتباك عظيم ويخشى ان يكونوا قد طلبوا الى الحكومة البحث عنك فنشرت ذلك الجرائد المحلية وربما اشتبهت الحكومة بان تغيبك متصل بتغيبي فتبعث الى سائر انحاء البلاد برسمي ورسمك وتعلن القبض علينا اينما وجدت شبهة بنا فتصير الجناية مضاعفة وحينئذٍ تقع كلانا في شرٍّ يسلبنا شرفنا وربما حياتنا معاً فاسمعي كلامي ايتها الحبيبة واشفقي على قلبي ابويكِ لانهما الآن في شرّ حال خوفاً عليك والتماساً للوصول اليك فالآن حين وصولنا الى ازمير يجب ان تنزلي وتعلميهما تلغرافياً بانك ستكونين عندهما بعد كذا ايام وحين مقابلتهما تكشفين لهما سبب تغيبك

فقالت نعم انني قد ارتكبت اثماً عظيماً لدى والديَّ يخشى منه الفضيحة وما حملني عليهِ الاّ قصدي بان أراك فالويك عن عزمك ولما لم اقوَ على ذلك

فقدت الادراك ونسيت واجباتي نحو كل العالم تجاه خلاص حياتك من الموت لانك عدوٌّ نفسك في مثل هذه الاحوال ولما رأيت اصرارك على عدم سفري تظاهرت بما اردتَ توصلاً الى ما اريد وقد كان ما كان ولم ادرِ بما احاطني من العار لان الانسان اذا وقع في شرَّين يختار اهونهما فالآن تغيبي عن والديَّ قد حصل وانا منتظرة اللوم عليه واخشى الفضيحة فيه واذا فارقتك ايضاً فلا آمن ان اكون قد جنيت على نفسي بالويل والفضيحة والموت لأنك عدوٌّ نفسك كما قلت لك ذلك مراراً مواغما اذعاناً لارادتك اتوجه الى ازمير وابعث الى اهلي رسالة برقية اعلمهما بها انني مرسلة لهم مع اول بوسطة كتاباً بتفصيل الخبر

فقال القريد ما هذا الاصرار يا نزهة ومتى درى الناس بهذا الامر الا يسلقوننا بأراجيفهم

قالت اعلم يا القريد ان قد بلغ مني اليأس مبلغه ولا اتطلب الحياة الآ لك فان كانت ثقيلة عليك كما تزعم وان الحكومة لا تلبث وهي تفتش علينا ان تعثر بنا وانت تحاول ان تحملني على الرجوع الى الاسكندرية لكي يخلو لك الجوّ فلا يكون لديك من يمنعك وجوده من العبث بحياتك فهذه حياتي بين يديك اقرنها بحياتك ونموت الاثنان معاً ولا نحمل هذه التعاسة والشقاء فكثيراً ما مات محبون قبلنا ضحية غايات الاشرار

قال حبيبتي بربك لا تزيدي تعاستي فقد كدت اغيب عن الصواب

وفي اثناء كلامهما وصلت الباخرة الى مينا ازمير فصعدت البحارة تسال الركاب من يريد النزول الى البرّ

فقال الفريد لنزهة هيا بنا ننزل وترسلي الى والديك رسالة برقية

فنزلا الى البرّ وهنــاك ذهبا الى مكتب التلغراف فكتبت الى احد اصدقاء ابيها لئلا تتصل الحكومة الى محل وجوده وتستدل بذلك على الفريد

الاسكندرية ميشل ٠٠٠ بشارع شريف باشا

اخبروا اهلي انني بخير وفي اول بوسطة يصلكم كتاب وافٍ.

نزهة

ثم ذهبا الى مكتب البوسطة فكتبت نزهة كتاباً الى والديها وهذا نصه

سيديَّ الوالدين

يكفيني من تبكيت الضمير ان احسَّ باني قد ارتكبت بتغيبي عنكم ما ربما جلب لكم افكاراً مكدرة وهواجس مخيفة وما حملني على ذلك الاّ قيامي بواجب مقدس نحو من اوحى اليَّ الله ان اكون واياه روحاً واحدة فقد علمت ان الفريدَ مسافر خفيةً على الباخرة الخديوية فذهبت دون ان اعلم احداً بذلك ولما شاهدته ولم اقوَ على اثنائهِ عن عزمه وقد ظهر لي منه انه ينوي ان يلقي بنفسه الى التهلكة تهتُ عن الصواب وسافرت معه عن غير ارادة منه لانه لم يدرِ بسفري الاّ حينما زايلت الباخرة الميناء فرآني وانا افتش عنه فكونوا بطمأنينة واعلموا اني مع اعزّ الناس مني من احسُّ بفراقه فراق روحي وربما ترون في عملي هذا خروجاً عن خطة اللياقة لاني قد اخترقت العوائد الموضوعة لنا وما انا التي ضلت بل العواطف قد جارت فكونوا في راحة بال من نحوي والسلام

ولدكم نزهة

وبعد ان وضعا الكتاب في البوسطة عادا الى الباخرة ٠ فلتدعهما هناك

وننتقل بالقارىء الى بيروت حيثما ارسل الفريد رزمة الورق على طريق السوكارتاه في البوسطة الفرنساوية من الاسكندريه حين سفره

﴿ ظهور الاشرفية ﴾

في جهة مدينة بيروت الشرقية الجنوبية مرتفعات من الارض متصلة بعضها ببعض بما يشبه سلسلة جبال تدعى ظهور الاشرفية وهي غير آهلة بالسكان الاّ القسم القليل منها القريب من المدينة وتطل من شرقيها على ارض منبسطة كثيرة الحصباء يشقها ماء نهر بيروت الى ان يصب في البحر المتوسط وغربي هذا النهر ارض كثيرة الفِضة تبت فيها القصباء ويكثر فيها شجر التوت ويكتنف ظهور الاشرفية من اكثر انحائها مروج خضراء وبساتين غضاء وحدائق غناء يقيم بها بعض الناس من الجهة التي تقرب من المدينة واما مايبعد عنها فليس فيه الاّ بعض البيوت المتوزعة في تلك الجهات يسكنها المزارعون في اغلب الاحيان

اما الطرق المؤدية الى ظهور الاشرفية فوعرة المسالك لانها مضيق من الارض يعترض المارة فيها مرتفعات ومنخفضات وحجارة وحصباء وفي الشتاء يتخلل الماء منخفضاتها حتى يتعذر المسير فيها الاّ بصعوبة زائدة

﴿ الانفراد ﴾

ففي اصيل يوم من ايام الربيع راقت سماؤُهُ ولطف هواؤُهُ كان شاب يمرُّ بين روابي الاشرفية لا رفيق له ولا انيس مطرقاً في الارض لا يلوي على

شيء بطريقه يستدل من ملامحه انه لا يتجاوز الخامسة والعشرين من العمر ربع القامة قمحي اللون اسود العينين مفروق الحاجبين عريض الجبهة متناسب الاعضاء تظهر عليه سمة اللطف والوداعة غير متصنع بترتيب اثوابه اما لبسه فعلى الزيّ الافرنجي وكان يصعد تارةً في تلك المسالك الوعرة ويهبط أُخرى حتى انتهى به المسير الى قرة في صخر لا تشرف الاَّ من جهة الشرق فتطل على ارض منبسطة تزينها الحدائق والبساتين المكسوة بالاشجار والرياحين فتنتهي الى سفح جبل لبنان وقد شيَّبَ ناصيته الشتاء بثلوجه المتراكمة ووشح الربيع رباهُ اليانعة بحلته الخضراء واكسبت الطبيعة هضابه الزاهرة بجميل الوانها فانها مناظر بديعة كانت تضرب بها اشعة الشمس فتزيدها جمالاً وبهاءً . اما صاحبنا فكأَنه لم يعبأْ بتلك المناظر الجميلة لانه اقترب من ذلك المكان وافترش منديله على حجر في ظل شجرة من الخرنوب حيثما يرى ولا يُرى ثم اخذ من جيبه محفظةً وتلفت ذات اليمين وذات الشمال كأَنه يحاذر وجودَ رقباءَ وارصاد ولما لم يرَ احدًا فتح المحفظة واخذ منها كتابًا مغلقًا وما كاد يفضه حتى شعر بثقل اقدام فاضطرب وامتقع لونه فانتصب للحال وقد اخفى الكتاب فلم يشاهد احدًا ثم صعد الى مكان اعلى ليعلم من اين اتت تلك الحركة وقد فتش ليؤَكد ظنونه فتطلع اسفل الجبل فرأَى غلامًا امامه بقرة ترعى في تلك الروابي ففهم ان ما سمعه هو ثقل خطوات ذلك الغلام فرجع الى مكانه وعمد الى الكتاب ولما وقع نظره عليه تنهد تنهدًا عميقًا ثم اخذ يقرأُه وكانت تاخذه الجمدة حينًا فيحول بصره من الكتاب الى الارض ويبدي اشارات الضعف كأَنه يائس لا مناص له منه فينكت الارض برجله ثم يعود الى تكملة قراءة الكتاب فتحمرّ

وجثاه وتندى جبهته فتترقرق في عينيه العبرات وبقي يتقلب بين هذه التغيرات الى ان اتمّ قراءة الكتاب فطواه واعاده الى المحفظة ثم اطرق ببصره الى الارض والقى راسه على يديه كانه يفكر بامر ذي بال وبينما هو على هذه الحال غارقاً في ابحر تأملاته رفع رأسه بغتة ونظر الى السماء بخشوع وقال بصوت ضعيف خارج من اعماق القلب « آه يا الهي تعاليت علوًّا عن قول الملحدين اشفق على عبدك . انظر اليه برحمتك . لا تدعه عرضة لعوامل المعاكسات فتهبط به الى حضيض التعاسة . يا الهي لا تسمح بنفسي ان تكون تعيسةً في هذا العالم . يا ليتني ولدت بين اكواخ الفقراء لا اعرف العزّ والشرف اما كان خيرًا لي لو لم اصعد بافكاري الى سماء العلم واطير في عالم التصوُّرات . ما هذا المؤثر الذي يقوى على عقلي فاراني ازداد تعاسة مع الايام يا ليتني لم افهم ماهية الواجبات او كانت حواسي من صخر فلا تتأثر . يا الهي وضعت فيَّ ارق الحواس واكتفتني باعظم المصائب اين الموت فاطلبه . . . لالا . . . كيف اموت يا ربي جعلتني اعيش للغير فملكتهم نفسي حتى لا اقوى عليها هل يوجد تعاسة اعظم من تعاستي » واذ هو طائر في عالم تصوُّراته رأى بغتةً شبحاً مارًّا قرب النهر يسرّح بصره في جمال الطبيعة فاحدق به برهة وكأنه عرفه فارتدَّ الى الوراء وتوارى في ظل الشجرة لانه كان على جانب عظيم من الانفعال وخاف ان يشاهده وهو على هذه الحال فحاول رفع هذه التصوُّرات فلم يقدر فوجه افكاره الى جمال الطبيعة وجعل يسرّح بصره في مناظرها اللطيفة ولكنه ما لبث ان عاد الى عميق تأملاته من حيث لا يدري وبينما هو مطرق في الارض فاجأهُ بغتةً ثقل اقدام بالقرب منه فالتفت فاذا بالقادم احد اصدقائه

وهو الذي حاول ان يتوارى عنه فلما اقترب منه لم يستطع الا مقابلته فاخفى ما استطاع من انكدارايه وباداه بالسلام قائلاً اسعد الله اوقاتك ايها الصديق الحميم فؤاد . ما الطف هذه المصادفة

فاجابه فؤاد لسعادة حظي حظيت بلقياك يا حبيب وحق حبك كنت افكر بك واتطلب رؤياك لاني لا ارتاح ارتياحي الى محاضرتك فما اسعد الصدف ومن ظنّ اني سأراك على قمة هذه الرابية

فدعاه حبيب الى الجلوس بقربه وجاراه بمطارحة شعائر المحبة لئلاَّ يلحظ عليه شيئاً من تأثره

اما فؤاد فكان يظهر من ملامح وجهه انه لا يتجاوز الثانية والعشرين من عمره طويل القامة ممتلئ الجسم ابيض اللون تلوح على وجهه سمة الذكاء والنجابة وآثار النعمة والفضل فنظر الى حبيب وقال له ما بالك ايها العزيز قد اخترت هذا المكان على سواه

— رأيت في جلوسي على هذه الرابية ما يتيح لي التأمل في جمال الطبيعة البديع واستنشاق النسيم النقي الذي هو على الطف ما يكون في هذا المكان فينعش الفؤاد الولهان

قال فؤاد . الفؤاد الولهان يا حبيب وهل انت ممن أخذت بهِ فواعل الغرام

فانتبه حبيب بغتةً وقد توردت وجنتاه لانه كان يودُّ ان يخفي ذلك عن فؤاد وقال ما وصل الى فهمك من كلامي ايها العزيز وكأنك تجهل ما يعترض تعلقي بالحب من العقبات وقد اوجدني الله في اصعب الاحوال

فقال فؤاد باستغراب · في اصعب الاحوال · وما هي العقبات التي تعترضك ألست انت حسيباً السامي بشرف محتدك ولطف نفسك وبديع جمالك ولطيف محاضرتك وقد اوجدك الله في عائلة اشتهرت بكرم الاخلاق والثروة فلا لوم على اسمى الفتيات ادباً ومالاً ان علقت بحبك وقد خصك الله من رقيق العواطف بما لا يدرك سرّه

فتأوّه حسيب عن كبد حرّى وكادت تترقرق الدموع بعينه لما احس بنفسه من القصور عن نوال مثل تلك السعادة التي صوّرها له صديقه فؤاد فقال له انك تبهُ فيّ ما يتعب ضميري من نيل سعادة لا احلم بها والله ان في كلامك ما يجرح احساساتي فلا تغرنك الظواهر وانت بعيد التصوُّر

اما فؤاد فتأثر لتأثر صديقه لما يعلمه به من رقة الاحساس وشريف المبادىء فقال له ارجو منك المعذرة ايها العزيز لاني لم اقصد بكلامي ما يزعجك ولم اذكر الا ما تراءى لي فاذا كنت لم افهم الحقيقة وتكلمت بما يخالفها واردتَ ان تريني محل غلطي كنت لك من الشاكرين

فقال حسيب وهو يحاول اخفاء ما يطويه فؤاده من الحب لشكرُ لطفك وصحيح مباديك لما ابديته نحوي من المحبة التي لا استحقها واما ما وصفتني به من كرم الخُلُق وحسن الخَلق فانت احق به لسموّ ادبك وشرف حسبك وما طلبت اليّ من اظهار تحاملك عليّ فهو وصفك عائلتي بالغنى الذي هو مجرّد وهم · نعم كانت عائلتي تراقبها السعادة حتى وصلت الى حالة من النعمة لايخشى معها الفقر وقد تقلبت بهذه النعمة زمناً ليس بالكثير فكأن الدهر قد بخل بما انعم لان ابي ولا ازيدك به علماً هو ليس · · · كان ممن يتجرون بالحرير والقطن

في انحاء القطر المصري فلما حصلت حرب اميركا وتعذر وارد القطن منها ارتفعت اسعاره في الشرق حتى بلغت اضعاف ما كانت عليه قبلاً فتوهم التجار دوام الحال واخذوا يجمعون ما وصلت اليه ايديهم من هذه الاصناف وكان ابي من جملة من حصر عنده جانباً عظيماً تجاوز قيمته ثلاثة اضعاف ثروته وبينا التجار بانتظار السعادة من ارتفاع الاسعار اتى خبر فجأةً بانتهاء الحرب على غير انتظار فهبطت الاسعار وكانت هذه اشأم ضربة على السوريين لانه قد تأخر قسم عظيم من اغنيائهم ومن جملتهم والدي ولعظم ما الم به من الهمّ والغمّ خسر حياته مع ثروته اما انا فلم احس بقوّة هذه اللطمة في ذلك الحين ولم اشاهد تغيراً بكافة احوالي المعاشية لان والدتي كان لا يزال عندها كمية من المال فانفقتها على تهذيبنا وتثقيفنا اعتماداً بان نكون رجالَ اعمالٍ فننسيها تلك التعاسة باجتهادنا ٠ فتلك الام الحنونة لم تدع شيئاً ينقصنا من اسباب الراحة والرفاهية والبذخ فكأنها كانت تكتم عنا ما يتهددنا من التعاسة التي لم نعلم بوجودها الاّ وقد داهمتنا من كل ناحية

فقاطعه فؤاد بقوله ايها العزيز هذا لا يمنعك من ان تكون سعيداً فانت شاب بزهوة عمرك وقد خصك الله بعقل صحيح وذكاء حاد تقدر بهما ان ترقى الى اسمى درجات الفلاح

نخاف حسيب ان دوام هذه المحاورة ربما يفضي الى كشف شيء مما يحاول اخفاءه فاراد تغيير هذا الحديث فقال لا انكر عليك انني قادر على مقاومة بعض الصعوبات فكل انسان متعلم لايتعذر عليه تحصيل مايقوّمُ اوده انما مطامع الانسان عظيمة وخصوصاً من كان مثلنا لم يعانده الدهر وقد اعتاد

معيشة الترف والنعمة وهو لا يزال في عنفوان شبابه وعواطفه في ابان ثورانها يرى العظيم من الامور يسيرًا واليسير عظيماً حسبما تصوره له مخيلته من الاوهام لانه لم يخبر الدهر ولم يميز بين خمره وخله ثم نظر الى الساعة وقال لفؤاد الآن الساعة نصف بعد الغروب وطريقنا خطرة فلا اظن مناسبة بقائنا هنا بين هذه الروابي · فهيا بنا · وذهبا

﴿ المناجاة ﴾

وبعد يومين من هذا الاجتماع كان حبيب في رائعة النهار يمشي على طريق في الجهة الشرقية من مدينة بيروت حوالي الاشرفية وهذه الطريق تقلّ فيها المارة وتكثر فيها البنايات المزخرفة التي تحتاطها حدائق غناء تعطر كلما حولها بشذا رياحينها اما صاحبنا فكان ماشياً الهوينا وكانت تدل عليه علائم الوقار وهو حسنُ البزة لطيف الشكل وكأنه يترقب مشاهدة احد لانه لا يستقرّ نظره على شيء مالم يحوّله الى سواه لكن هو مأخوذٌ بافكارٍ ذات بال ودام على هذه الحال الى ان اقترب من جدار حديقة واسعة الجنبات يكتنفها شبك من الحديد في منتصفها بناية مزخرفة تظهر للرائي انها غاية في الاتقان وقد عرش على الشبك الحديدي المطلّ على الطريق الورد والنسرين والاقحوان وكلها بكاء الغمام كالدر المنثور فلما اقترب صاحبنا من الشبك الحديدي حول بصره الى داخل الحديقة وقد احمرّت وجنتاه وكاد يتعثر بمشيته وهو يحاول التحديق ببصره داخل الشبك فيمنعه الحياء حتى وصل الى باب الحديقة فهمّ بالوقوف فدفعه دافع الخجل فداوم المسير بصفقة المغبون

وبعد هنيهة من مسيره كان يتخلل اشجار تلك الحديقة وازهارها صبية كأنها من حور الجنان معتدلة القدّ باهرة الجمال قد سكنت جفونها فتوراً وطفح وجهها نوراً وهي تتمايل في تلك الحديقة وترنو ببصرها الى ناحية الطريق فتقترب من الباب حيناً وتبتعد آخر وكأنها تميل الى الوقوف في الباب فيمنعها خوفها ان يكون في ذلك فتح باب لظنون الناس الذين لا شغل لهم الاَّ التساؤل عن خلال السوى وهفواتهم وكانت كلما تخايلت مرور احد ارتعشت واحمرَّ وجهها

وإذ هي في هذا الاضطراب احست بمرور عربة ثم وقفت فنزل منها ابوها فهمت الى مقابلته فلحظت معه شاباً لم تكن تنتظر رؤيتهُ فتوارت في ظل شجرة ريثما يدخل لكي لا تراه وهيئة هذا الرجل تدل على انه في الثلاثين من العمر طويل القامة ابيض الوجه اشقر الشعر مصقوله مع تجعد على الناصية واما لبسه فعلى الزي الافرنجي يتصنع في مشيته تصنع المخنثين فلما دخل من الباب لم يلحظ شيئاً من نفور الفتاة منه لانه كان مشغولاً بتسوية تجعدات اثوابه من قعود العربة وتزريرُ سترته الرسمية وكان ابو الفتاة ينتظره ليدخلا سوية على رصيف مرصوف بالحصباء ممتد من باب الجنينة الى باب البيت قاطعاً الجنينة نصفين فيرى الداخل مناظر لطيفة تستوقف نظره من التفاف الاشجار وزهاء الازهار وذكاء الرَّياحين التي جمعت بين عذوبة التنسيم واعتلال النسيم وفي وسط كلا جانبي الحديقة بركة فيها صخور اصطناعية بحرية تقذف الماء من جنباتها بما يصوِّر للرائي انه في بحر تلاطمت امواجه وعلا عجاجه وفيها من سمك الانهار اشكالٌ تدهش البصر

اما حضرة الزائر فلم يلتفت الى شيء بل انجز تسوية اثوابهِ واختصر

زند ابي الفتاة ودخلا فقال له الزائر فاتني يا عم ان اسأُلك عن صحة السيدة جميلة كيف اصبحت في هذا النهار وهل ذهبت الى الكنيسة فقد بحثت عنها بين السيدات فلم ارها

فقال له اصابها صداع هذا الصباح فلم تقوَ على الذهاب

– فاذًا هي في البيت

– اظن كذلك · ثم لاح من ابي الفتاة التفاتة لحظ فيها حركة نقل اقدام بين الاشجار فظن احد الخدم يبحث عن حاجة للبيت فأكثر من تحديقه الى مكان الحركة نخافت الفتاة انكشاف امرها فتظاهرت بعدم انتباهها الى مجيئهما وتشاغلت بقطف شيءٍ من الرَّياحين وارتدَّت حالاً من باب سرّي الى البيت حذرًا من ان يعلم بوجودها الخواجه حنا وبقيت في البيت الى ان شعرت بدخولهما فعادت الى ما كانت عليه في الحديقة وقد عيل صبرها وضاق صدرها لتباعد الحبيب ومطال الوعد فاخذت تذم الدهر بالفاظ ارق من النسيم وكأَن الدهر يقصد عنادها لتتمتع بشكواها فكانت تستلقي رأْسها بيدها وتطرق في الارض تائهة في تيارٍ من الاحزان فيتساقط من آماقها الدرّ على المرجان وهي تقول

سقاني الهوى كأْسًا من الحبّ صافيًا فيا ليته لما سقاني سقاكم

فزاد بها الهيام وقوي التأْثير حتى لم تقوَ على الوقوف فاصطكت ركبتاها اضطرابًا وارتعش فؤَادها غرامًا ولازمتها رجفة الحب فجلست الى جذع شجرة ترقب المارة وتخشى الرقيب حتى سمعت صوت ابيها من الداخل يسأَل احد الخدم اين سيدتك جميلة فاخذتها الجدة وقد حاولت الوقوف فلم تقدر لعظم اضطرابها فصبرت ريثما يهدأُ روعها ومسحت عينيها وهمت بالرجوع فلمحت في

الطريق شاباً يسترق النظر اليها فما لحظته الاّ اهتزت جوارحها فمالت الى مقابلته فمنعها الحياء ولكن غلبت عليها عاطفة الحب فلم تشعر الاّ وهي بالقرب منه على جدار الحديقة وقد احمرّ وجهها وغازلت عيناها واندى جبينها ورجفت ركبتاها لهول هذا الملتقى حتى كادت لا تستطيع الوقوف وخشيت ان يراها احد على هذه الحال

اما صاحبنا فشاركها بالاضطراب الذي وصل اليه بمجرى كهربائية البصر فحاول اخفاء ما المّ به فلم يقدر وسهام العين تتسابق الى فؤاده فهدّأ روعه جهد الطاقة واشار الى صائدة لبه اشارة السلام بانحناء رأسه فاجابته بحركة من جفونها والله اعلم ما بهاتين الاشارتين من التأثير على كليهما

فلما رأى ملاكه الحارس ترنو اليه بعين الحب كاد يعدم صوابه وكان لسان حاله يقول قول المتنبي

سبتني بدلٍّ ذات حسنٍ يزينها تكحّلُ عينيها وليس لها كحلُ
كأنّ لحاظ العين في فتكه بنا رقيبٌ تعدّى او عدوٌّ له دخلُ
ومن جسدي لم يترك الحبُّ شعرةً فما فوقها الاّ وفيها له دخلُ

اما هاته الفتاة لما صارت بهذا الموقف نسيت ان اباها قد ارسل من يدعوها وسدت سماعها عن كلام العذال وصارت لا تعلم ذاتها الاّ بقرب من تحب فتمنت دوام هذا الاجتماع

لكن صاحبنا خشي ان يكون وقوفه على الطريق بهذه الهيئة مجلبة لمسّ احساسات وطهارة تلك الذات الملاكية فهدّأ روعهُ قدر الاستطاعة وتكلم بكلام لطيف رخيم يفهم تأثيره على قلب تلك العذراء كل من له اقل نصيب

من سطوات الغرام فقال قرأت كتابك اللطيف واقل ما اقوله فيه اني لا اجد عبارة تفي بالاجابة عليه او بوصف تلك العواطف المقدسة فبربك اجلي قصوري محل الاجابة عليه وتأكدي ان شخصك هو وجهتي وصلاتي اينما كنت وفي اي جهة سرت

فقالت أكفف عن هذه العبارات المؤثرة واعلم ان امامك انسانًا لا يحمل من العواطف ما هو فوق الطاقة البشرية ثم استأنفت الحديث قطعًا لهذه العبارات المهيجة وقالت الم يكتب لك الفريد بعد ذلك الكتاب الذي قال فيه انه آتٍ لتمضية شهري الصيف هنا

- لا . وانا في شاغل عظيم من جراء ذلك وقد كنت عازمًا على ان اسألك ذلك لعله ان يكون قد كتب لكم

فهمت ان تخاطبه فاذا بالخادم ينادي سيدتي جميلة

فاضطربا وقد صعب عليهما الوداع فاستدرك حسيب وقال استودعك الله يا جميلتي واسألك ان تسألي عني خاطر سيادة والديك . وذهب وكان لسان حاله يقول

ودّعته وبودي لو يودّعني صفوُ الحياةِ واني لا أودّعهُ

اما جميلة فكانت تشيعه بنظرها ولما لم ترَ احدًا من المارة نادته بصوتها الرخيم حسيب حسيب لك عندنا امانة ورمت اليه بكتاب مظروف ورجعت الى البيت

﴿ دعوةٌ الى مربع سوريا ﴾

وكان حنا وابو الفتاة جالسين في قاعة الاستقبال يتحدثان فلما دخلت جميلة

حولا انتباههما اليها وانتصب حنا واقفاً وهمَّ ليطارحها السلام بالايدي اما هي فاطرقت في الارض وابدت الرزانة والوقار ثم سلمت وجلست في الجانب المقابل من القاعة فحوَّل حنا نظرهُ اليها وقال تكدرت كثيراً لما علمت من سيادة العم انك كنت منزعجة فكيف انت اليوم

- احسن

ثم ترك عمه واقترب منها فارتدت الى الوراء فقال لها ما هذا الجفاء أنظرتَ يا عم كيف ان السيدة جميلة تنفر مني بقدر تقرُّبي منها

فقالَ لها والدها ألست القائلة هذا العصر عصر الحرّية فعلامَ تستحيين

فصمتت ولم تبدي جواباً اما حنا فبعد ان جلس بالقرب منها برهة ارتدَّ الى حيث كان وكأنه لم يشعر بهذا النفور بل حسبه خجلاً بسيطاً وعاد فحوَّل حديثه الى ابي الفتاة فقال سيمثل في هذا المساء رواية لطيفة في مرسح سوريا فهل تقبلون دعوتي اليها مع لفيف العائلة وخصوصاً السيدة جميلة ثم التفت اليها قائلاً ألا تذهبين يا جميلتي

فاجابته بجمود . لا اعلم

- ألا تعلمين فاذا كان كل من في البيت سيذهبون ابقين وحدك فبلا شك يلزم ان تذهبي لانك تسرّين كثيراً بسماع الاغاني والاناشيد

فقالت لا اميل الى مثل هذا

فقال حنا وهل احد في العالم لا يحب الغناء ويكره ساعات السرور

فقالت جميلة لم اقل اني اكره وانما قلت لا اميل واما تعجبك من كلامي وقولك وهل يمكن ان يوجد احد لا يحب الغناء فاكثر العالم لا يحبه الاَّ اذا

كنت تقصد فئة مخصوصة فذلك لا افهمه

فقال وكأنه لم يفهم ما قصدته بكلامها والتشخيص اظنكِ تقولين لا احد يحب التشخيص

فقالت انت قلت

فلحظ ابوها خشونة اجوبتها فاراد حسم هذه المحادثة فسأل حنا عن موضوع الرواية

فقال له ان موضوعها « الحب المستعصي »

- ومتى ميقات تشخيصها

- الساعة التاسعة من مساء اليوم

- نذهب ان شاء الله

- والسيدة جميلة تذهب معكم

- تذهب ايضاً

فتلاهت جميلة بكتاب كان امامها ثم اتى الخادم يدعوها لمقابلة احدى السيدات فما صدقت ان سمعت ذلك حتى خرجت

﴿ الاغنياء والفقراء ﴾

فبقي في القاعة ابو الفتاة وحنا

فسأله ابو الفتاة ما ذا يرد عليك من الجرائد يا ولدي

فقال حنا وايّ فائدة لي فيها فانا لا اجد من الوقت ما الاحظ به اشغال عملاي

– اتجهل فائدة الجرائد وانت رجل غنيٌّ يهمك الاطلاع على ماجريات البلاد السياسية

– وما الفائدة لي من ماجريات البلاد فحينما لا تطيب لي الاقامة في هذه البلاد فكل بلاد الله سكني وقد انعم الله عليَّ بمال طائل لاقدّ وافرح بما انعم عليَّ بهِ

– كيف تجاهر بمثل هذه الافكار ياولدي وانت في عصر التهذيب والمعارف

– وهل انا اتعدَّى في كلامي خطة التهذيب

– ألا تعلم ان الغني ملزوم شرعاً وادباً بترقية الفضيلة والعمران ومساعدة الفقراء خصوصاً اهل الادب منهم لان ذلك اعظم ما يكفل غناه ويحفظ حياته

– وماذا يهمني اذا اهملت الفقراء ولم اساعد اهل الادب منهم وانا في ظلّ حكومةٍ عادلة تحفظ حقوقي وتسهر على راحتي

– الا تدري ان تغاضيك عن مثل هذه الواجبات مما يهين بشرفك لا سمح الله وقد يفضي تغاضي الاغنياء امثالك عن مثل هذه الواجبات الى ما يكدر الراحة العمومية وينقم اهل الادب من الفقراء عليهم فيثيرون الخواطر ضدهم بدعوى انهم يحجرون المال عندهم ويتركون القسم العظيم ممن حواليهم من بني وطنهم عطلاً من الاشغال يعيشون بالتقتير والفقر والذلّ وحينئذٍ يتظلم الفقراء منهم ويثيرون ضدهم فيؤول الامر الى الاختلال وتصبح حياة الاغنياء في خطر عظيم

– الا يكفي ان الغني لا يعامل الفقير بما كان يعامله به اسلافنا القدماء فيستخدمونه بالاشغال الشاقة بلا مقابل ويحرمونه من اكثر الملذات اما نحن

فانا نستخدمه في ادارة اعمالنا وتدبير حاجاتنا بما يستحقه من الاجرة ولا نمنعه التلذذ بكل ما يقدر عليه او تصل يده اليه وفوق ذلك فهو يطالبنا ان نشاطره اموالنا . افيصح في شرع العاقل ان ما حصله آباؤنا واجدادنا بعد شق النفس ان نبذره للفقراء غنيمةً باردةً لكي يتمتعوا به

– لقد تهت عن المراد من كلامي فانا لا اقول لك فرّق مالك واحرم نفسك منه انما اقول لك ان الغني يمكنه ان يعمل كثيرًا من الخيرات والمبرات كبناء المستشفيات وتمريض المساكين وان يرفع الوفا من وهدة الفقر الى سماء العزّ وهو ربما لا يخسر بذلك شيئاً بل يربح ارباحاً مادية فوق ارباحه الادبية وذلك لاني لا اقصد بالفقراء الخاملين الضعفاء البصيرة الذين قد اوجدهم الله آلة لمن هم فوقهم يستقضونهم استقضاءهم للحيوان الاعجم انما اقصد بكلامي القسم العظيم من العالم وهم اصحاب العقول وارباب الاقلام وذوو الاعمال وارباب الصنائع الذين عليهم مدار العمران وتقدم المدنية فالقسم العظيم من هؤلاء يعيشون بالشقاء والتعاسة والفقر وما ذلك الاّ لضيق ذات يدهم فلو اسعدهم امثالكم وامدوهم بالدرهم الرنان واخذوا منهم مقابل ذلك قسماً من ارباحهم لنشلوهم من وهدة الفقر واسعدوا معهم المئات ممن يلوذ بهم لان كل فردٍ عليه واجبات نحو اهله واصدقائه فلو تقدم تقدم معه اخوه وابن عمه وكل من يلوذ به ويريده وعليه فيسعد الاهالي وتتسع الاعمال ويزداد الغني اعتبارًا في النفوس ويصير شخصه مكرماً مبجلاً ويكون قدوة لمن حواليه من امثاله فتعمّ الفضيلة ويكثرُ الخير ويتقدم العمران ويضعف عنصر العموميين والاشتراكيين واخصّ ممن يجب مساعدتهم اصحاب الاقلام وارباب الصنائع الذين هم عماد

البلاد وواسطة سعادتها

وفيما هما بالحديث اتى الخادم ليدعوهما للغداء لتتركهما وتذهب الى بيت حسيب

﴿ كتاب جميلة ﴾

ذهب حسيب من عند حبيبته بكتابها اليه وقد غادر عندها النفس والروح معاً ولما وصل البيت دخل غرفته واغلق بابها وفض كتاب صائدة لبهِ واخذ يتلوه على نفسه وهذا نصه

عزيزي حسيب

هي ليلة لا اعرف فيها الكرى وقد قرأت كتابك اللطيف المملوء من ادب النفس وطاهر الحب فسحّ من عيني دمعها وكاد يفارق نفسي رمقها وحبك يا حسيب ان عوائد البلاد لتخجلني من نفسي وتتعب ضميري وتذهب بماء عيني خجلاً ووجلاً

آه كم الوم والديَّ الذين رقيا افكاري ولطفا عواطفي باعتنائهما بتهذيبي في اعظم المدارس فاستقيت منها لبان المعارف والآداب التي جعلتني اميّز بين خلّ امس وخمر اليوم وقد قرأت كثيراً عن التمدن الاوربي وحقوق الافراد وواجباتهم فصرت ارى عوائدَ آبائنا مملوءةً خسفاً وجوراً وضغطاً على العقول لما هو مألوف عندنا نحن معشر الشرقيين

ففي كتابي الاول يظهر لك عظم اضطرابي وتلبكي في كتابته وسردي معانيهُ وخوفي ان يكون ذلك مجلبةً لتعب ضميري وقد كررت لك مراراً ان

تحرقه او تحرص في اخفائهِ كل الحرص فرجائي ان تكونَ قد اتممت الوصية وان لا تحتقر افكار فتاةٍ تجد ذاتها محاطة بتعاسة تتهددها من وراء المحبة والحنوّ الابوي

واني لا استحيي ان اقول انك انت الوحيد الذي يستحق محبة هذه الفتاة التي تكتب اليك بمحاجر العين وسويداء القلب وانا الآن في الساعة الرابعة بعد نصف الليل تائهة في عالم التصورات لا انيس لي الاَّ الارق وخفقان القلب فاعذر يا حبيب فتاةً ترى ان لا تسخر قلبها لسواك ولو خاطرت بحياتها فكيف تميل ان تكشفه لغيرٍ لا يستحقه

بقيت هذه المسكينة تتقلب على جمر الغضا لا تقدر على المجاهرة بحبها الى مستحقهِ خوفاً من ان ترجم باقوال المرجفين وقد حدثتني النفس احياناً ان اتبع نصيحة امام المحبين حيث يقول

نصحتك علماً بالهوى والذي ارى	مخالفتي فاختر لنفسك ما يحلو
فان شئتَ أَن تحيا سعيدًا فمتْ بهِ	شهيدًا والاَّ فالغرامُ لهُ أَهلُ
تمسَّكْ باذيالِ الهوى واخلع الحيا	وخلِّ سبيلَ الناسكين وان جلوا

فلا تيأس ايها الحبيب فالله لا يعبث بقلبين ائتلفا على حبّ طاهر مقدس وتأكد اني لا اريد الحياة الاَّ لك والسلام

اقرأْ هذا الكتاب ثم اجعل نصيبه النار جميلتك

فلما انتهى من قراءة الكتاب استلقى راسه بيده وتاه في عالم التصورات وفيما هو على هذه الحال فتح الباب بغتةً ودخلت عليه والدته فلما رآها بهت فيها وهو مشتت الافكار فاستغربت ذلك منه واقتربت تسأله عن السبب اما

هو فاخفى الكتاب وقد انتبه لنفسه فقال لها عفواً يا والدتي لا تؤاخذيني لاني كنت في شاغل من جراء قضية عرضت عليَّ في الامس فماذا تامرين

لا اريد شيئاً الاَّ اني اراك هذه المدة الاخيرة تحب الانفراد وانت دائماً مشتت الافكار فلعن الله صناعة المحاماة اذا كانت سبباً لتكديرك يا ولدي فالاشياء مرهونة باوقاتها فللشغل وقت وللراحة وقت واليوم الاحد يوم راحة وتعيد وانبساط دع عنك هذا الانفراد وهيَّا فاذهب معنا الى النزهة في الاراضي النضرة مالك كل هذه المدة لا تذكر والدتك واخوتك ولا تجتمع معهم اجتماع سرور وانبساط

قال سمعاً وطاعة يا اماه نعم اني قد بالغت في الانفراد هذه المدة ولكن ذلك ليس لوقت طويل لانك تعلمين ان المبتدئ بصناعة المحاماة يصادف مصاعب كثيرة لا تلبث ان تقلّ على التمادي فلا يشتغل لك بال بل كوني في طمأنينة وعلى الله حسن الاستقبال

واذ هما آخذان بالحديث اتى الخادم وهو يقول سيدي حسيب قد اتى هذا النهار بوسطة من الاسكندرية غير اعتيادية صحبة الباخرة الانكليزية ولك فيها ورقة سوكرتاه فتناولها منه ووقع عليها وقال له اذهب وأْتني بها حالاً فما غاب الخادم الاَّ واتاهُ برزمة اوراق فلما وقع نظرهُ عليها علم انها من الفريد فخفق قلبه فرحاً لانه يعرف خطهُ ولكن رابهُ منها كونها على طريق السوكرتاه ومعنونة بالافرنسية

وكانت امه لا تزال في غرفته فلما فضّ حسيب رزمة الاوراق ووقع نظره على اوّل عبارة منها تغيرت ملامحه فسألته والدتهُ عن هذه (البوسطة الكبيرة)

قال من احد اصدقائي يذكر لي بها حوادث تتعلق به واراد ان يخفي الحقيقة عن والدته لكي لا يجعل عندها مشغلة

اما هي فلم تطل النظر بها ولم تكثر من السؤال لانها لم تكن من الممارسات بل تركته وحده في البيت وخرجت لقضاء اشغالها البيتية

﴿ كتاب الفريد ﴾

واما هذه الرزمة فهي من الفريد كما قدمنا يذكر بها سيرة حياته والاسباب التي دعت الى وقوعه في اشنع التهلكات وهذا نصها

عزيزي ورفيق صباي حسيب

اليك يا اعزّ الاصحاب ما اذا بلغك خبر منعايَ نشرته فلا تفوت العالم فائدة ما اكتسبته بفقدان حياتي وشرفي . الآن ايها الصديق الصدوق اذكر اياماً تقضت بيكم ما كان احلاها حيثما لا شعار لنا الاَّ الاخاء وصدق اللهجة وصوت الحب الصادق والضمير الحرّ الآن اذكر ما كان يجمعنا من الاخلاص والمبادىء الصحيحة والغايات الشريفة والسعي الصادق وراء الخير . اما بعدُ أَلا تعجب ايها الحبيب اذا قلت لك ان اقرب الناس مني قد سعى في إهلاكي على ادنى الطرق توصلاً الى اكتساب ميراث زهيد

وقبل الشروع في ذكر هذه الوقيعة يجب عليَّ ان اذكر لك ما تقلب عليَّ في حياتي من الاحوال المتنوّعة حتى دهيت ممن كنت اظنهم احب الناس اليَّ فتعجب كيف يقتدر الانسان على ان يخفي شرور فؤادهِ ازماناً طيَّ المحبة والحنوّ الوالدي وتمهيداً لذلك اذكر لك سيرة عائلتي فيما يتعلق بي لتكون على

بصيرة من ذلك

ولد ابي في مدينة دمشق الشام من ابوين عنيين بالآداب ولم يكونا فقيرين بالمال والوجاهة وكان جدي تاجرًا بالحرير في تلك المدينة ونظرًا لاتساع اشغاله هناك شغل اولاده معهُ في تجارته وكانوا ثلاثة · وكان والدي محبًا للسفر فطلب الى جدي ان يتخذ لهُ محلاً في بيروت يكون فرعًا لمحله في دمشق فلما رآهُ مصرًّا على عزمه لم يخالفهُ فاتخذ لهُ محلاً في بيروت وكان امينًا صادق اللهجة فاحبتهُ عملاؤهُ واتسع شغله بمدة يسيرة وكان ذلك حوالي سنة ١٨٤٥ فعلق بفتاة عريقة بالحسب مشهورة بالتهذيب والجمال وقد تعلمت في بيت اهلها على المربيات اللغة الفرنساوية وبعض مبادىء العلوم فتزوَّج بها وبعد زواجه ببضع سنوات مات ابوها عن ميراث ليس بقليل ولم يكن لهُ الاَّ ابنتان وهما والدتي وشقيقة عذراء فاستولى والدي على الميراث واتى بابنة عمهِ الى بيته وباثناء هذا الحادث جرت حادثة سنة ستين فانجلت عن قتل جدي وسائر ابنائهِ في تلك المعركة فكان وقع ذلك عظيم على والدي فذهب الى دمشق ولما هدأَت الاحوال اخذ تعويض ما فقد لاهله وباع جميع ممتلكاته واتى الى بيروت فصار من ذلك الحين يعدّ من المتمولين وقد اتفق لابنة عمه طالب بعد سنتين وكان من اغنياء البلاد ولم يكن من الدارسين في المدارس لصعوبة التدريس في ذلك الحين وانما كان من اللطف على جانب عظيم حسن المحاضرة كريم الاخلاق وقد خبرت منه ذلك عند ما كبرت اي قبل سفري الى هذه البلاد ومن رأْيهِ تعليم البنات بان بهِ تثقيفهنَّ وترقية عقولهنَّ وقدرتهنَّ على معرفة واجباتهنَّ نحو ازواجهنَّ واولادهنَّ وقد سمعتهُ

مرارًا يقول اذا شكرت الله على امر فانما اشكره اوّل كل شيء على اسعاده اياي سبحانه وتعالى بهذه الزوجة المهذبة لانها بتهذيبها قد رفعت عني مصاعب ومتاعب كثيرة وخصوصاً في تهذيب ابنائنا تهذيباً فطرياً ارضعتهم اياه مع اللبن

اما انا فلتعاسة حظي قضى الله على والدتي بموت عاجل ولم ابلغ العشرين من العمر . وكان وقع ذلك عظيماً على والدي لانه في وقت قريب فقد اعزّ الناس لديهِ وهم ابواه واخوته وامرأته فكرِهَ الاقامة في سوريا ووكل لي باشغاله فيها وسافر الى مصر فنقل معظم تجارته اليها وما ذلك الاّ ليضعف آلام الحزن اما انا فبقيت في بيت خالتي ليثما يتسهل لي السفر اليه فلم يحرمني الله في صغري من كل موجبات السعادة من حنوّ والدي ومحبة اهلية ورفاه وهناء الى ان ترعرعت فدهيت بفقد والدتي وجدي واعمامي وسفر والدي الى مصر

ولكن وجودي في بيروت بين خالتي واهل بيتها كان اعظم تعزية وسلوى لي لما كانا يبذلانه نحوي من موجبات المسرّة واخلاص المحبة والحنوّ ولا بد انك تذكر ما كان يجمعنا من تلك الليالي الزاهرة في بيت خالتي اذ لا شعار لنا الاّ الاخاء والمحبة والاخلاص فلولم يختني الله بمخالطة مثل هؤلاء نساء فاضلات مهذبات كريمات الاخلاق شريفات المبادي يبثثن في حديثهنّ روح الطهارة والتهذيب الذي يجري مجرى الدم في مفاصل كل من وجهن اليه الخطاب لقلت مع الشاعر

رأيت الشرّ في الدنيا كثيرًا وأكثره يكون من النساء

وهنا اذكر ايها الصديق العزيز ما قلتهُ لي مرّةً عن جميلة ابنة خالتي بان

يا لسعادة من ينال يدها لانها ملاك الطهارة والتهذيب فتبثهما في قلب كل من وجهت اليه حديثها

لولا اولاء الفاضلات يا حسيب لذهبت ثقتي بالنساء ونسبتهنّ الى ما ينسبهنّ معشر المشارقة اجدادنا من انهنّ اصل الشرور في العالم

لننتقل من عالم السعادة الذي مرّ خلسةً ونأتي الى عالم الشرّ والشقاء

فبعد ان قضى والدي في مصر زهاء ثماني سنوات جدّدت تلك البلاد شبوبته فعاود الاقتران بابنة لا تجاوز العشرين من العمر لطيفة الشكل متأنقة في اللبس متفننة في الازياء وبالاجمال لا همّ لها الاّ التحلي والتجلي وصقل الوجه وضفر الشعر ومراقبة الجيران والمفاخرة بالاهل والخلان او بالدرهم والدينار . وبعد زواجه ببضعة اشهر بعث يستحضرني اليه ليكل اليّ امر اشغاله . ولما وصلت المكان الذي هو فيه استقبلني باحتفاء عظيم لايقلُّ عن احتفاء اب بولد وحيد غاب عنه زهاء ست سنين فقدمني الى الام الثانية التي لم يسعها الا ان تظهر محبة والدية وقد صوّرت لي سعادةً زاهيةً زاهرةً بالمعيشة بينهم اما انا فتذكرت وصية خالتي لي بقولها يا الفريد انصح لك ان تبقى هنا لان معيشتك مع هذه الام الثانية ربما يجدّد عندك متاعبَ واحزاناً فامتنع من والدك في البقاء بيننا فلم يكن مني الاّ الاصرار وقد نبذت نصيحتها بعد ما آنست من رابّتي (امرأة ابي) هذه الملاطفة وبعد وصولي الى البيت بنصف ساعة اتت سيدة قريبة الشبه منها فلما لمحتها قالت لي اعرّفك بابنة اختي نور التي استخصيتها من بين بنات اختي لمؤانستي

فقلت انعم واكرم لقد تشرفت بمعرفتها

وهذه السيدة على ما ظهر لي من ملامح وجهها انها لم تتجاوز السادسة عشرة من العمر لطيفة الشكل حسنة الزي وقد حادثتها فآنست منها لطفاً عجيباً حتى كدت أُؤخذ بسحر بيانها

وبعد قليل من مجيئي اتت عائلتها ثم اخذت تتوارد معارف والدي ليهنوه بسلامة ولده وبقيت الحال على هذا المنوال زهاء الشهرين وانا في احسن حال وانعم بال وقد آنست من قرينة خالتي السيدة نور ميلاً زائداً اليّ واعجاباً بكل صفاتي واميالي واكراماً كثيراً ومثل ذلك من رابتي حتى كدت اعشق حديثهما وصرت اجاهد في خدمتهما وابالغ في اكرامهما ولكني لم اتأكد سعادة معيشتي بينهما . الاّ واخذت تتغير معاملتهما معي وتضعف اميالهما نحوي فحسبت ذلك بادئ بدء لقصور مني في مرضاتهما فصرت اراجع في مخيلتي تاريخ وجودي بينهما ومعاملتي اياهما فلم ارَ ما يوجب الصدود او ينسب الى التقصير ولم تطل هذه المعاملة الا وقد تحولت الى نوعٍ من التحقير فصارتا اذا هششت في وجه احداهما اقطبت واذا وجهت اليها خطاباً تلاهت وان تكلمت مع احد زائرينا سعت جهدها لتخجلني اما باستجلابه بحديثها او بمعارضتي في كلامي وان لم يتيسر لها ذلك خلطت في حديثها بما يجعلني ان اختصر في كلامي

اما انا فرابني هذا التغيير وصرت احسب له الف حساب وخصوصاً لما ارى والدي لا يعارضهما في ذلك انما اذا رأى على وجهي امارات الانقباض اخذ يلاطفني بما وصلت اليه مقدرته واذا عبست هشّ وبشّ في وجهي انما ذلك لم يكن الاّ ليزيدني انقباضاً لاني لست بحاجةٍ الى ملاطفة والدي اليّ بقدر حاجتي الى الاستعلام عن سبب انقباضهما

فبقيت مدةً على هذه الحال الى ان كدت ايأس المعيشة وانا مستنكف من مفاتحة والدي بذلك خوف ان اكون سبباً لتنكيد سعادته العائلية وصرت اقلل من مكوثي في البيت تخفيفاً لتكدير النفس وفي كل ذلك لم اسع في معاكسة احداهما بل بالعكس فكنت ابالغ في مداراتهما واتغاضى عن سيئاتهما رجاء ان تتغير الحال واعود الى سابق المعيشة وكنت ابحث عما ترتاحان اليه من الحديث او المحاورة فآتيهما على ما تريدان حتى اذا لاح لي بارقة في ارضائهما لا ادعها تذهب سدًى واذا قالت خالتي مثلاً ما اجمل الخاتم الذي في يد فلانة لا البث ان اتيها بمثلهِ واذا وجدت فيها شيئاً ممدوحاً مدحتها عليه على مسمع منها وان كان سيئاً تغاضيت عنه ولكن قد طال الامر على هذه الحال حتى يئست المعيشة وكرهت الاقامة على ما انا عليه فاخذت اسعى الى ما يبعدني عما انا به فطلبت الى والدي وكان تاجراً في الاقطان والحرير والنيل ان انفرد بشغلي عنه فلم يخالفني في ذلك بل امدَّني بما احتاج اليه من المال واختصني ببعض الاصناف التي كان يتعاطاها

فلما استقليت بشغلي صرت اقلل من المكوث في البيت فاذهب مبكرًا وارجع متأخرًا واكثر من السهر في شغلي او عند معارفي الذين قد طابت لي مخالطتهم ولذت لي معاشرتهم فصرت اقضي معهم معظم اوقات الفراغ وتحسنت احوال شغلي وعرفت بين عملائي بالاستقامة وصدق اللهجة فصار ابي يثق بي ثقة تامة فلا يعارضني بشيءٍ في شغلي ولا يمنع عني كل ما اطلبهُ اليهِ فلما رأيت امنهُ هذه الثقة بي اخذت اسعى اليهِ ان يتخلى عن شغلهِ اليَّ ويتنحى الى طيانهِ وابعدياتهِ وما زلت حتى رضي بذلك لانهُ صار كبيرًا وصارت المتاعب

والمشاغل تضرُّ في صحته

فلما تمَّ لي ذلك وعرفت بين عملائي باستقلالي في الشغل وصرت حرَّ التصرُّف فيهِ وكلتا السيدتين لا تزالان على حالتهما من المماكسة تراءى لي حينئذٍ ان ربما والدي هو الذي اراد ذلك حباً فيَّ وخوفاً عليَّ من سلطة الغرام لان العواطف في ابَّان تهيجها وابنة اخت امرأته من النساء القادرات على سلب القلوب واستجلاب الخواطر ببهرجات حديثها فاوعز اليهما والدي ان لا يلاطفاني هذه الملاطفة التي ربما يخشى عليَّ من غائلتها والذي جعلني ان اتأكد ذلك هو كون معاملتهما اياي بتياب والذي الطف منها بحضوره

واذكر مرة ان والدي رغب بالذهاب الى مدينة حلوان مع لفيف العائلة قصد ترويح النفس وحتم عليَّ بالذهاب معهم فلم اخالفهُ ولما صرنا هناك اخذنا نتبختر في فسحات المدينة حتى اقبلنا على حديقة فيها حيوانات لطيفة كالنعام والوز فدخلناها وكان والدي الى يسار خالتي منفردين يتحدثان في شؤُون من مثل رياش ولبس وما اشبه لان خالتي لم تكن ترتاح الى حديث ارتياحها الى مثل هذا الحديث وكانت السيدة النور برفقتي نتحدث في احاديث ادبية وبينما انا آخذ بسرد حكاية عن تأثير الحديث في العواطف الرقيقة المستعدة للحب نظرت اليَّ نظرًا مملوءًا حباً وقالت لي لا تؤاخذني على هذه الجسارة التي قد حملني عليها حديثك الادبي وهي اذا جملني الله بفمك اللطيف وعينيك السوداويين ألا اقدر ان اؤثر في نظري اليك تأثير حديثك فيَّ واحمرَّ وجهها واندت جبهتها خجلاً اما انا فلم استغرب منها ذلك لاني خبرت ما هي عليه من الدهاء ومع معرفتي اياها وتصوُّري دهاها اثر فيَّ هذا الكلام فقلت

لما ارخصت الطلب يا نور ثم تأملت في وجهها فاذا بهِ آثار الدمع فعلمت انها تتكلم عن حب صحيح ضاق صدرها عن كتمانهِ رغم انفها ثم قالت وكأن نفوذاً داخلياً يمنعها عن الكلام هل يقدر الانسان ان يحتقر شخصاً معجباً بكل صفاتهِ وآدابهِ اذا كان محمولاً على ذلك رغماً عنه

قلت لها لا يقدر اذا كان ذا قلب شريف ونظرت اليها فاذا بها وكأن قشعريرة اخذت بجسمها فاطرقت في الارض خجلاً فتبيّن لي من ذلك ان الحب لا يستعصي في قلوب الاردياء واقلّ مؤثرٍ يغيره' وتأكد عندي ان الانسان قد يتغلب على شرّ اخلاقه ويعود الى الهداية من تلقاء نفسه

اما انا فمع ما اظهرته' نحوي من الحب لم اكن لأُوخذ باساليب كلامها بل عدت الى حديثي الاوّل الى ان اقترب مني والدي وخالتي وعدنا جميعاً الى مصر

﴿ الزُّلفى ﴾

بعد هذه الحادثة صارت نور تقترب مني جهدها دون ان يلاحظ والدي شيئاً من ذلك فاذا حضر تلزم السكينة والوقار واذا غاب التقرُّب والتحبب اما انا فلم يؤثر ذلك فيَّ شيئاً لان معاملتها اياي في الماضي قد قلعت من قلبي كلما يقرب من الثقة بها او المحبة اليها حتى صرت انتقد حركاتها وسكناتها وخصوصاً عندما تجتمع على شبان وتجول معهم بالحديث فلا ادع سانحة دون ان ابحث عن مرادها بها لان المتكدر من شخص يصير اقرب الى فهم سيئاته من الآخرين وخصوصاً من افرغ ما في امكانه قصد تحقيري فكيف اغفل عن فهم سيئاته

اما ما جعلها تتقرب مني وتتحبب اليّ هو لاني لم اجاهر بما ارادت بي من السوء بل كنت اعامل الشرّ بضده قصد صلاح الحال فظنت ذلك تغافلاً مني او بلادة في عقلي فرجعت تمرغ ما في وسعها لتكسب ثقتي بها وتعيد المياه الى مجاريها

اما انا فما كان لي شاغل ذلك الحين الاّ النظر في مستقبل حياتي لاتوصل الى ما به سعادة معيشتي لان الله قد انعم عليّ بكل موجبات السعادة ما عدا النكد العائلي فصرت اريد ان ارى رفيقة لي تساعدني على سعادة المعيشة غير ان الدور الماضي كاد يضعف ثقتي بالنساء الفاضلات لولا تذكري من رايت في بيتهنّ اللواتي لا تبرح فضائلهنّ تجاه عينيّ وقد مرّ عليّ زهاء الستين وانا لا همّ لي الاّ شغلي ولا شاغلٌ الا ترقيته وكانت معيشتي في البيت قد تغيرت الى عكس ما كانت عليه ولم يغيرها الاّ الاضطرار لاني بانفرادي في شغل والدي ونجاحي به جعل لي نوعاً من النفوذ في البيت وخصوصاً لان قلبي قد خلا من كل ما يشبه المحبة او الاعتبار او الشفقة على عائلة رابّتي لما انالتني من الخسف والتحقير فحينما كنت محتاجاً الى ارضائها واعتبارها ومحبتها سامتني ما شاءت من التحقير والامتهان ذلك اوّل ما جئت مصر وكنت محتاجاً ان يقدموني الى معارفهم بهيئة لائقة ترفعني في اعينهم لان ما يطرأ الذاكرة في اوّل الامر من كل الاشياء يستمرّ تأثيره وقتاً طويلاً وربما لا يلاشيه الاّ اختبارات كثيرة

اما الآن فلا يهمني منهم ان هشوا او انقبضوا اقتربوا او ابتعدوا ففي مركزي العالي ما يجعلني ارفع من ذلك كثيراً هذا ما اضطرهم الى الانقلاب

عما هم عليه وخصوصاً نور فمع كل برودتي نحوها لا تزال تطمع بانجذابي الى محبتها ·

﴿ دعوة العرس ﴾

ففي صباح يوم عند استلامي البوسطة وجدت فيها كتاباً من اديب ابن عم والدتي يدعوني بهِ لحضور زفافه في الاسكندرية واظنك ايها الحبيب حسيب تذكر ما كان يربطنا معه من المحبة ايام كنا في بيروت ولا همَّ لنا الاَّ الاخلاص وصدق المبادئ فقد كان وجوده في الاسكندرية مع عائلتهِ سلوى لي لاني كنت اكثر من الترداد اليها مدة الصيف قصد ترويح النفس من وعثاء الشغل ومتاعب العقل وخصوصاً فان الاسكندرية تقرب ان تكون مصيفاً للقطر المصري فهي في الصيف ازهى منها في الشتاء فذهبت الى ذلك العرس وكان حاوياً لكل موجبات المسرة والقاعات غاصة بالمدعوين وبعد وصولي بنصف ساعة تمَّ عقد الاكليل بحضور رؤساء الاكليروس وكان على غاية ونهاية من الاتقان

وبعد انتهاء الاكليل خرج الجمع الى قاعة الرقص وكنت انا الى جانب العريس والناس في اختلاط وانبساط جماعات ووحداناً وبين هذه الجماعات الى جهة منفردة من القاعة كانت اخت العريس واسمها اسمى واقفة مع سيدتين احداهما في ريعان الصبا بجمال بارع مائلتين بكليتهما لاستماع حديث السيدة اسمى والثانية تقرب ان تكون امها وكانتا الاثنتان يسترقان النظر اليَّ باهتمام مع اصغائهما للحديث اما انا فلزمت الاحتشام وتظاهرت بعدم انتباهي الى

حركاتهما لانهُ قد تراءى لي ان امي ربما ان تكون محمولة بعواطف القرابة تريد ان تظهرني لدى معارفها مظهراً عالياً فتشاغلت بمخاطبتي العريس بعبارات التهنئة وما فتئت على ذلك وقتاً قليلاً الاَّ والسيدة امي قد اقبلت عليَّ وقالت لي مالي اراك يا ابن الخالة لاهٍ بالعريس عن كل الحضور فهيا بنا نعرّفك باصحابنا واخذتني من يدي حتى اقتربنا من السيدتين فقالت موجهة حديثها اليَّ اتشرّف بان اعرّفك بحضرة السيدة امرأة الخواجه امين... وابنتها الانسة نزهة ثم وجهت حديثها اليهما وقالت يزيد شرفي بان اعرفكما بمن عرفتماه بصفاته

تخجلت انا لهذه العبارة اللطيفة ونظرت الى السيدة نزهة فاذا بها ووجهها كاد يطفح نوراً وقد غازلت عيناها فقلت لابنة خالتي متبسماً وهل جرت العادة هنا ان تخجلن زائريكنَّ وتبهنهم على ما في انفسهم من القصور في الاجابة على مثل هذه التجملات ثم التفت الى السيدتين حسماً لهذه التجملات وقلت لهما حضرة الخواجه امين من اعزّ اصدقائي ولماذا لم يحضر الحفلة

قالت امرأته سيجيء قريباً لان اشغالاً خصوصية اعاقته عن الحضور معنا ولو علم ان حضرتكم من الحاضرين لفضل مقابلتكم على كل شاغل لانه كان عازماً على السفر هذين اليومين الى مصر قصد مقابلتكم فقط

وفيما نحن بالحديث دخل امين فلما شاهدني ابدى دهشة عظيمة فمال اليَّ وطارحني السلام قائلاً لي عليك حقوق مقدسة لا ارغب في مخاطبتك بها الاَّ جهراً

– ومن اين هذه الحقوق

– من رصيد حسابكم

فقلت له نحن في مربح رقص ولسنا في مربح المحاسبة

– هذه المحاسبة لا بد من اشهارها وافتخر بان اقف كخطيب بين الجموع مشهرًا فضلك عليَّ

– بربك اسكت واذا كان مرادك التكلم في شيء فهيا بنا نختلي في غرفة لافهم هذه الحقوق

– يجب ان يحضر معنا بعض الاصدقاء ليكونوا شهودًا عليك

فاعترضت ابنة خالتي بقولها تفضلوا وانا والسيدتان نكون شهودًا عدلاً على الفريد ثم اخذتني من يدي ودخلت بي غرفة منفردة في ذلك المكان ثم دخل امين وامرأته وكريمته فقال امين لا استحيي ان أتكلم عما وصلت اليهِ حالي من الفقر اثناء هذه السنة حتى كدت اخشى من عقباه وقد صعب عليَّ تغيير احوال اهل بيتي المعاشية بل بقيت على ما كنت عليه من السعة معللاً النفس بلعل وعسى حتى كادت ان تكشف حالتي اثقال المداينين وكدت اياًس من المعيشة وقد عللت نفسي بالانتحار مرارًا وكان يثنيني الامل والشفقة على اهل بيتي

وفيما كنت تائهًا في هذه الاضطرابات اتاني ساعي البوسطة ومعهُ وصل بكتاب مسجَّل فذهبت الى البوسطة اخذت الكتاب وفضضته فاذا به ورقة على البنك ... بثلاث مئة جنيه وكتاب موجز يقول فيه

حضرة اخينا ...

قد اتصل بي ما لحق بحضرتكم من الخسائر هذه السنة في تجارة القطن

وكاني بعزة نفسكم تترفع عن ان تطلبوا بقية مطلوبكم منا وعليه فقد رصدت حسابكم فاذا الباقي لكم هو ٣٠٠ جنيه فلا تؤاخذونا ومهما لزمكم من الخدمة شرّفونا بها لاننا لا ننسى سابق معاملتكم لنا والسلام الداعي

الفريد ...

فقلت له وما هو فضلي اذا دفعت لك مطلوبك في وقت حاجتك اليه

قال ارجو من فضلك ان تسمع حديثي حتى اصل الى النهاية. فلما وصلت البيت كان قلبي ملآن من الامتنان الى ذلك الشهم حتى طفح فلم اتمالك عن ان انشر ذلك لكل من عرفته وعزمت على السفر الى القاهرة لتقديم فريضة الشكر واكتب لك ورقة بالقيمة حتى اذا منّ الله عليّ بها دفعتها اليك فقد اسعدني الحظ بلقياك هذه الليلة فرفعت عن كاهلي شيئاً من هذه الافضال واما الحساب الذى اشرتم اليه فكان لكم عندي قبل ارسال الكتاب زهاء العشرين جنيهاً

فقلت له ربما كنت غلطاناً برصيدك للحساب وعلى كلٍّ فلست بارادتي قد فعلت ذلك انما والدي هو الذي قال لي بجميلكم السابق وحملني على ما تقدم

« وهنا استميح منك ايها العزيز حسيب ان لا تحمل سردي هذه الحكاية محمل المدح بنفسي فلم يحملني على كتابتها الاَّ ذكر اسباب تعلقي بنزهة »

اما امين فقال لي كفاك تستراً ايها الرجل العظيم فابوك قد تنحى عن معاطاة الشغل من وقت طويل وقد بحثت فعلمت ان ليس له اطلاع على شيء من ذلك ثم التفت الى امرأَتهِ وابنتهِ وقال لهما هو ذا الرجل سبب سعادتكما

اما انا فقلت كفاك يا امين بربك اكفف فلم آتِ حفلة الفرح لاستماع

هذا الحديث قلت هذا وهممت بالخروج فخرج الجميع معي الى فسحة الرقص وفي كل هذه المدة لم تحاول نزهة النظر اليّ دون ان يحمرّ وجهها ويواليها شيءٌ من الارتباك فلما صرنا في فسحة الرقص ضربت نظرًا عامًا في الراقصين والراقصات فاذا اكثرهم من الافرنج الآفةُ قليلة من السوريين لان مثل هذه العادة يستنكف منها الشرقي واما كونها في بيت العريس لان اكثر معارفهِ من الافرنج وفيما انا متأمل في الرقص وما يأتيهِ من التبزل في بعض الاحيان اقتربت مني ابنة خالتي وقالت لي متبسمة ألم تتعلم الرقص يا الفريد وكأنها غير راضية عن مثل هذا التبزل فقلت لها لا ازال في لاهٍ عن مثل الرقص وكانت نزهة لا تزال بقربنا مع والدتها فلما سمعت كلامي رفعت نظرها اليّ وتبسمت تبسم الاحتشام وبقيت كل تلك السهرة تنظر اليّ نظرًا مملوءًا من الاحترام والمحبة بما جعل لها اعتبارًا عندي ومحبة في قلبي. وفي صباح اليوم الثاني اتى والدها الى بيت العريس فدعاني الى بيته لامضي ذلك النهار عندهم فاجتهدت بالتخلص من هذه الدعوى الاّ ان اصراره ُ الزائد حملني على مطاوعتهِ فبقيت عنده سحابة ذلك النهار وقد آنست من اهل بيتهِ لطفًا اكيدًا وخصوصًا نزهة فقد اثرت نظراتها فيّ ذلك النهار تأثيرًا لا تمحوه ُ كرور الايام وراقبت حركاتها وسكناتها وحديثها فاذا بها هيكل اللطف كريمة الاخلاق لطيفة المحاضرة صادقة اللهجة فارتسم شخصها في قلبي وجرى لطفها مجرى دمي في مفاصلي حتى تمنيت ان فترة الاجتماع لا تنقضي ويوم الزيارة لا ينصرم واظن ان ما عندها لا يقلّ عما عندي لان مجمل نظراتها وحركاتها وسكناتها ناطقة بالحب

فلما كان ميقات سفر القطار مساء الى القاهرة استأذنت امينًا بالذهاب فاصرَّ على بقائي الى اليوم الثاني وعارض جهده اما نزهة فكانت صامتة الاَّ ان جوارحها ابت ان تختفي فقالت بصوت رخيم ما اقرب مازعك منا حتى توهمت هذه الفترة القليلة التي قضيتها عندنا زمنًا طويلاً وقد صبغ الحياء بياضها بلون الارجوان فاطرقت بالارض

اما انا فكاد ان يظهر اضطرابي لما اثر كلامها فيَّ فقلت يا حبذا لو مكنتني الاشغال من المكوث اكثر من ذلك ولكنني اعدكم بالمجيء في وقت آخر ان شاء الله اكون فيه على استعداد وودعتهم ولما وضعت يدي يد نزهة حسست يدها جليدًا وآنست بوجهها نارًا كاد يبعث الى قلبي شرارًا

﴿ اوّل الحب ﴾

هذه اوّل مرة طرق الحب قلبي فوجده خاليًا فتمكن . برحت الاسكندرية وكأني فقدت فيها نفسي وروحي معًا فصرت اذا لحظت سيدة حسبتها هي فاحس ان قلبي قد انتقل من مكانه واذا كتبت او قرأْت تخايلت لي بين السطور واذا نطقت ظننتني احادثها واذا هجعت ذهبت نفسي اليها حتى غدت شغلي وشاغلي

فلما وصلت القاهرة ذهبت توًّا الى البيت ولما دخلته رأَيت خالتي ونورًا عندهما شاب يناهز الثلاثين من العمر جميل تقاطيع الوجه حليق اللحية الاَّ العنفقة (اسفل الشفة السفلى) وكنت لم اشاهده قبل هذه المرة فلما شاهدني كأَنه بهت فتغيرت ملامح وجهه ولكنه اقترب مني مسلماً فنظرت اليه

مستفهماً عن سبب مجيئه فاستدركت خالتي في الحال وقالت اعرّفك بالخواجه حبيب وهو من اصحاب الاملاك وقد اتى ليسأل والدك شراء ارض له اما هو فكأنه لم يستحسن كلامها لانهُ اطرق وعاد فجلس

اما نور فما صبرت ان جلست حتى اخذت تسألني عن حفلة العرس وعما حوتهُ من ضروب المسرّات فكنت اسرد لها ذلك ببرودة لان حب نزهة اخذ بمجامع حواسي اما الرجل فما فتئ جالساً برهة قصيرة حتى استأذن وذهب فقالت له خالتي اذا اردت في الغد ان تشرّف فيكون زوجي هنا

مرَّ يومان على تركي الاسكندرية وكأنهما سنتان وفي اليوم الثالث اتاني كتابان منها احدهما من ابن خالتي والثاني من اخته اما الاول ففيه يدعوني لقضاء يوم الاحد عندهم والثاني يقربه في المعنى الّا انهُ يحمل سلاماً من نزهة وهذا نصه : لا استحي يا ابن الخالة ان اهديك سلام سيدةٍ جملها الله بأكرم الاخلاق واشرف المبادىء تعتبر مباديك اعتبار الاشياء المقدسة اعني بها السيدة نزهة التي كانت تكلمني وادمعها ملء اعينها وهذا قولها «هل حطة في آدابي اذا قدمت احترامي الى من توقفت سعادة معيشتي على كرم اخلاقه»

اما هذا الكلام فكان على قلبي برداً وسلاماً ومن ذلك الحين عزمت على مفاتحة والدي بمحبتي للابنة فدعوته الى محل شغلي وهناك عرضت عليه الامر وطلبت اليه ان يذهب بصحبتي يوم الاحد الى بيت خالتي ويرى الابنة

قال لي وهل خبرت الفتاة وعرفتها معرفة حقيقية لانك ستبني عليها سعادة مستقبلك يا ولدي

— عرفتها معرفة كافية وقد استفدت من بيت خالتي عن اخلاقها

بانها من البنات المهذبات اللواتي لا اطمع باحسن منهنَّ

- وهل ذكرت لرابّتك شيئاً من ذلك

- لااری حاجة الى ذلك الآن ومتى تمَّ الامر نعلمها لانه ربما لاتصدق الارادة

وبعد كلام طويل رضي والدي بالذهاب معي للدعوة والنظر في الامر

﴿ الخطوبة ﴾

وفي هذه الدعوة نظرنا في الامر ملياً ولم انفك عن والدي حتى وضعنا عقد الخطوبة ولا تسأَل عما كان فقد امن القلب غوائل صدام المحبين ومصادمة الخادمات في احرص مكان عند اشرف امين

ولما بلغ امرأَة ابي ذلك ابرقت برقاً خلباً وقد قضي الامر فلامت والدي ولامتني لاننا لم نعلمها بهِ قبل حصوله فقال لها والدي حينما ذهبنا الى الاسكندرية لم يكن بالنية الاَّ مجاراة القريد لحضور دعوة ابن خالته وهناك قد كان ما كان على غير انتظار

فقالت وهي تتلون تلون الحرباء وهل عرفتما الابنة اذا كانت اهلاً . . .

فقلت لها نعم وقد استفدت كثيراً من بيت خالتي عن اخلاقها بانها من البنات المهذبات اللواتي لا اطمع باحسن منهنَّ

- كيف تقدم على مثل هذا الامر ولا تخبرني به فكأنك لا تثق برابتك التى تنتظر بفروغ الصبر ان تظهر لها رغبتك في الزواج فتختار لك زوجة تليق بك

- عفواً يا رابتي فما حملني على هذه العجلة الاَّ لاني قد تعرفت بهذه الابنة

في الاسكندرية وخبرتها فوجدت في نفسي ميلاً زائداً اليها وحباً لما قلت مع المام ضميري وقد كان ما كان ومع ذلك فاذا عرفت الابنة وجلست اليها ولو قليلاً من الزمن لغبطني على هذه السعادة التي لا استحقها

فقالت لقد بالغت في الوصف وكأن لها في قلبك مكاناً علياً وفقك الله واوصلك الى ما تريده من السرور والهناء · وظهر لي منها انها تكلمت الكلمات الاخيرة بالرغم عنها

اما انا فشكرتها على ما اظهرت نحوي من الاحساسات واجبتها بكل بساطة ان الدهر ما بيننا وسترين الابنة ان شاء الله فاذا كانت على ما تريدين كان بها والا فالامر لك

اما نور فقد حبطت مساعيها وامست في شر حال ولم يعد في استطاعتها الآن تتقدم لتهنئني وهي تكاد تذوب خجلاً وتضطرب غضباً وقد ساء فألها وكذب ظنها وفرغت كنانة حيلها ومن ذلك الحين صارت تكثر من الانفراد بخالتها واظن ذلك لتتصلا الى ما يثنيني عن عزمي لاستبدل الجنة بالنار والعفيفة الطاهرة بالمخادعة الشريرة فلما وجدت نور مني انقباضاً عنها وبروداً في معاملتها اخذت تسعى لتعود الى اهل بيتها وقد تم لها ذلك لانه تقدم لطلبها رجل من اقربائها فرضيت به وذهبت من ذلك الحين الى بيت اهلها

اما رابتي فمن يوم تم عقد الخطوبة صارت تظهر نحوي من التغيرة والتحبب ما لم يخطر لي في بال فتخاطبني اكثر الاحيان بالشغل ونجاحه وتأتيني من الاحاديث على ما اريد

فاستغربت ذلك منها وقلت لعلها عادت الى هداها وغاب عني قول الشاعر

ان الافاعي وان لانت ملامسها عند التقلب في انيابها العطب

بقيت خالتي وهي تبالغ بارضائي ومداراتي الى ان جمعتنا ليلة انس في بيت احد الاصحاب وكان والدي حينئذٍ متغيباً في ابعدياته وكنت انا وربّتي في تلك الحفلة فشاهدت من اقتدارها على اساليب الكلام ما لم يدر في خلدي ولا خطر في بالي فلا تحضر في محفل من السيدات الاّ وجميعهنّ يسترقن النظر اليّ ولا يلتقي نظري بنظرها الاّ وتبتسم تبسم الاعجاب فصرت احمل ذلك منها على محامل مختلفة ولا يميل ضميري بان انسب ذلك منها الى غير المكر والدهاء فصرت اتلاهى عن الافتكار بها والنظر اليها بمحادثة بعض الخلان بشؤون مختلفة وفيما انا على هذه الحال اذا بصبي يقول لي ان السيدة تشير اليك بالمجيء اليها فلم ارَ بدّاً من ان استأذن من صديقي واقترب منها فقامت اليّ واقبلتني باحتفاء وقالت لي اريد ان اعرفك بصديقاتي اللواتي يعجبن بحسن خلالك

فخجلت انا لهذا المدح والتفتُّ اليهنّ متبسماً وقلت ان شهادة القريب لا تثبت حجة ولا تقوّم معوجة فاذا باحداهنّ وكأنها غير راضية عن مظاهر رابتي وتريد اكتشاف امر يخامر ضميرها فنظرت اليّ ببشاشة وقالت اريد ان اشكو لك من رابّتك وارجو ان لا تؤاخذني على هذه الجسارة فقد سبق لي ان تشرفت بمعرفة عائلتكم الكريمة وكنا نتبادل الزيارة على وداد وفي كل هذه المدة لم اتشرّف بمشاهدة حضرتك في منزلكم ولا في منزلنا واتذكر اني سالت رابّتك عن ذلك فاجابت انه لا يميل الى كثرة المعاشرة والاختلاط وقد رأيت الآن ضد ذلك من كلامها ومما اسمعه من اخوتي عن معاملتك فهل حملتها الغيرة الشديدة على ذلك في اول الامر وارادت ان تصفك بالتعقل فبالغت

فنظرت اليها باحترام وقلت لها ان الانسان اول دخوله في بلاد جديدة وتعرفه باناس لم يعرفهم من قبل لا بد له من المحاذرة في حديثه ومعاملته لانه يكون معرضاً لانتقاد كل من عرفه لان اول ما يطرأ على العقل يؤثر اكثر مما ياتي بعده وخصوصاً اذا لم يكن الانسان على ثقة بان شخصه محترم ومحبوب ممن تقضي عليه الجمعية الادبية بمخالطتهم هذا ما كان يضطرني في اول الامر الى الاقلال من المعاشرة والاختلاط والمحاضرة والمحاورة خشية تحقيري في عيني نفسي وهذا على ما اظن الذي حمل رابتي على وصفي بهذه الصفة مجاراة لطباعي

اما هي فكأن كلامي اثر فيها حتى ظهر عليها الاضطراب وخشيت ان يكون دخولها في هذا الباب من البحث مما يزيد الخرق اتساعاً فقالت بمظهر البساطة والله اعلم ما وراء ذلك

لا اعلم فلسفة الاسباب انما كنت اتكلم بالواقع في حينه كما تكلمت به الآن وعلى كل فحكمة الفريد هذه واعماله الفاضلة مما يرفع مقامه بين اصدقائه اكثر مما لو سعى الى ذلك بكثرة الاختلاط

ثم ساقنا الحديث الى شؤون اخرى حتى قالت رابتي اني احس بصداع في راسي فهل تريد ان نذهب الى البيت

فقلت سمعاً وطاعة ثم ودّعنا الجماعة وذهبنا ولما وصلنا البيت اتت بزجاجة من الكنياك فشربت منها واعطتني لاشرب فاعتذرت باني شربت في السهرة فوق ما استطيع حتى كادت سورة الخمر تلعب براسي لكنها الحت علي وهي تقول هذه الايام ايام مواسم واعياد كان يجب ان نقضيها بالمسرات والمعاشرة بدلاً من الانقباض والاعتزال

ثم اخرجت من جيبها قليلاً من الملبس واعطتني فاكلت وشربت من الكنياك مراعاة لها وقد شعرت ان صدري اتسع ووالاني شيء من الانبساط مع دوار خفيف في راسي مما حبب اليَّ الحديث والمسامرة لولا تذكري نزهة واشتغال افكاري بحبها وجمالها

فلما آنست رابتي مني ذلك اتت بكرسي وجلست بالقرب مني على مائدة الكتابة في غرفة والدي واخذت تقلب الاوراق حتى وقع نظرها على ورقة باسم موسى حزقيال فقالت وهي تحلق بالتوقيع كم هو دقيق الصنعة ولا اظن احداً يتمكن من قراءته غير كاتبه فقلت لها ليس هذا بالامر الصعب كما تتوهمين فاسمه موسى حزقيال انما دقته في الكتابة هو لانه خلط بين الاسم والكنية فجعل لفظة موسى وسط لفظة حزقيال اما هي فاسترجعت الورقة وما زالت تحلق بها وتتهجاها حتى اتت بورقة بيضاء واخذت تصوّر التوقيع وانا اضحك من عملها ثم قلت لها اظنك لم تعرفي مثل هذه الكتابات ولذلك تعجبت من هذا الخط الواضح فان بين التجار من اذا راجع قراءة توقيعه حسبه لغيره لضعفهِ في الكتابة والقراءة ثم اتيتها بورقة ثانية بتوقيع تادروس فلتؤوس وقلت لها اقرئيه فاخذت تحل رموزهُ ولما رأيتها مستغربة قلت لها ان اسمهُ كذا فاظهرت الاعجاب وقالت ان مثل هذا اذا انكر على الناس توقيعه فلا لوم عليه ولا تثريب لاني لا اظن احداً يقوى على قراءتهِ الاَّ من اعطي قوّة فوق القوى البشرية ولا اخال ان احداً يقوى على تقليدهِ

فقلت لها ان تقليد مثل هذا التوقيع سهل جدًّا لان صاحبه لا يحسن من الكتابة الا كتابة اسمه ومن القراءة الا قراءته وقد يختلف كل مرة عما قبلها ومع

ذلك فهذا التاجر لو وقع بهذا التوقيع على ورقة صغيرة بالف جنيه لا يتأخر اي بنك من البنوك الشهيرة عن دفعها

فقالت لي كيف تقول انه سهل وهو اشبه شيء بالكتابة الهيروغليفية التي اشتغلوا قروناً في حلها ثم أتتني بورقة اخرى وقالت لي هل تستطيع تقليد هذا الاسم فاخذت قلماً وكتبت فأخذت هي الورقة التي كتبت عليها وكتبت عليها ايضاً ثم قالت ان توقيعك يفرق فرقاً بيناً عن توقيعي فأخذت الورقة ثانية وكتبت في منتصفها هذا التوقيع فتناولت الورقة مني قبل ان اكتب غير التوقيع ووضعتها بين يديها واخذت تصوّر التوقيع تصويراً فاخذتها لامزقها فاتتني بورقة ثانية واخذت هي تلك لتمزقها وقالت ان المهارة في الكتابة ان تكتب اسم موسى . . . فتناولت الورقة منها اما هي فمزقت ورقة حسبتها هي ورجعت الى الورقة الثانية التي هي باسم موسى وما زالت تأخذ ورقة وتعيد اخرى وهي تقلد هذه وتلك بمظهر البساطة حتى لم يخامرني شيء من الظن بها وما انفكت على مثل ذلك حتى قلّ صبري فاتتني بورقة فيها توقيعي وقالت ما الطف توقيعك وما اسهل قراءته

فقلت لها لانك اعتدت قراءته

فقالت ليس هذا السبب بل هو توقيع واضح واخذت تعجب به وبكتابته حتى حملتني على ان اشرح لها سبب وضوحه وطريقة كتابتهِ وكتبتهُ لها مراراً وكتبتهُ هي ايضاً الى ان قالت ما الطف هذه المشغلة فقد ذهبت بالصداع الذي كان مستولياً عليّ ثم التفتت اليّ باشة وقالت لي ألم تنعس فودعتها وذهبت الى غرفتي

وبعد مضي شهر على هذه الحادثة ذهبت الى الاسكندرية لاعين ميقات العرس وكان ذلك يوم عيد راس السنة فتناولت الغذاء في بيت اهل العروس ثم ذهبت مع اخيها الى بعض المتنزهات وبينا نحن نتنسم نسيماً لطيفاً ونسرح مناظرنا في زخارف الاسكندرية وزهاء بهرجتها لاهين بالحديث واذا بابي العروس قد فاجأنا فاخذني جانباً واسرَّ الي ان الشرط قد اتوا البيت الآن وهم يفتشون عنك قصد القبض عليك وقد علمت بعد البحث بانك متهم بتهمة فظيعة يتعذر عليك التخلص منها فالاولى بك الاختفاء ريثما تتبين الحقيقة

فقلت مندهشاً ما هذه التهمة . هيا بنا الى المحافظة لنبحث عن السبب فعارضني في ذلك وابى الا ان اختفي ويذهب هو لاستطلاع الخبر بنفسه لئلا يكون به ما يخشى عليَّ منه ثم علمت بعد ذلك ان كاتبي وموتمني في اشغالي ذهب الى بنك كذا وقبض ورقة مزورة بقيمة ٣٠٠ جنيه على موسى .... بمقتضى ورقة موقع عليها مني تأذن بدفع القيمة له وان هذا الرجل بعد قبضه القيمة ذهب الى بيتي واخذ هدية كنت قد خصصته بها وهي ربطة رقبة فيها دبوس من الماس وانه وجد في تلك الهدية علبة من الحلوى فتناول منها شيئاً اثر سمه فيه حتى جرى في عروقه فمات . وا اسفاه عليه . مسموماً وقد بعثت الحكومة تبحث عني لتقبض عليَّ ولما سمعت الخبر تذكرت ما دار بيني وبين تلك المرأة الشريرة تلك الليلة بشأن تقليد توقيعي وتوقيع بعض التجار عملائي بخطي فادركت مرادها والظاهر انها وضعت طي هديتي له علبة فيها حلوى مسمومة فاماتته في النهار نفسه فلما وصلني الخبر على ما ذكرت لك وعلمت ان ليس باليد حيلة تنكرت واتخذت اللغة الافرنسية في حديثي دفعاً للشبهة عني وسكنت في بيت احد

اصدقائي من رعايا دولة فرنسا مدة عشرين يوماً وفي اثناء ذلك كتبت اليك هذه الحكاية وانا عازم غداً على السفر من الاسكندرية على الباخرة الخديوية الى حيثما يشاء الله فاذا بلغك خبر منعاي ايها الحبيب فانشر هذه القصة في جميع جرائد العالم لكي لا تفوت احداً فائدة ما اكتسبته بفقدان شرفي وحياتي معاً وفي الختام اكلفك ان تقدم خالص احترامي الى عائلتك الكريمة والى خالتي وقرينها المحترم وابنتها العزيزة ثم استودعك الى ان يقضي الله امراً كان مفعولا

محبك

الفريد

فلما اتم حسيب كتاب الفريد الأ وتناثرت دموعه وارتعشت يداه واضطرب فؤاده واصبح بين حاضر وغائب فاتكأ على متكإٍ امامه وتاه في عالم التصورات حتى غلبت عليه سنة الرقاد فنام الى ان اتاه الخادم يستدعيه للعشاء فانتبه مذعوراً وقد توهم ان ما قرأه كان حلماً فحمد الله ولكنه نظر الى المائدة فرأى الاوراق فقال لا حول ولا قوة الا بالله فجمعها وخرج لكي لا يجعل عند والدته مظنة اما هي فلما شاهدته لم يخف عليها اضطرابه فسألته عن السبب فلفق لها حكاية مزعجة وقال لها انه رآها في الحلم فانتبه مبغوتاً فصدقته وشكرت الله . وبعد العشاء استأذنها في الذهاب من البيت لاشغال خصوصية له فذهب الى بيت خالة الفريد اعني به بيت منصور ... وهو والد عشيقته فلما وصله لم يجد احداً من الاهل وكانوا قد ذهبوا تلك الليلة الى مرسح سوريا لمشاهدة تمثيل الرواية التي دعاهم الى مشاهدتها حنا خطيب جميلة

فتوجه الى المرسح المذكور واخذ رقعة دعوة بالدرجة الاولى ولما دخل

اخذ يبحث عن مكانهم فلحظ في لوح نمرة ٧ سيدة تحدق به وقد والاها الاضطراب فامعن نظره فيها فاذا هي جميلة وعند ذلك ناله ما نالها فذهب توًّا الى حيث هي وعند وصوله اشار مسلماً فقابلوه بالاكرام لانهم يعرفونه صديقاً لالفريد ولم يصلهم شيء من امر تعشقه جميلة وكان والدا الابنة يحبانه ويميلان الى محاضرته لما هو فيه من اداب النفس وكرم الاخلاق ولطيف المعشر

فلما جلس عرفاه بجنا فاثر فيه عامل الغيرة مع ما هو فيه من انشغال البال فلم يستطع ان يضع يده في يد المذكور من غير ان تظهر به علامات الاضطراب ولكنه تجلد جهده وقال لا ازال تعباً من صعود السلالم فلحظت جميلة منه ذلك وقد فهمت المقصود فاطرقت في الارض خوفاً من ان يلحظ والداها شيئاً مما اعتراها من الانفعال

فلما انتهى حبيب من السلام قال ربما تستغربون مجيئي اليكم في مثل هذا الوقت فانما اتيت لاخلو بحضرة العم واقص عليه حكاية فاذا عاد يقصها عليكم فهل تأذن لي يا عماه بخلوة فقال تفضل وذهبا على انفراد فقص عليه الامر . فلم يات على آخره حتى اضطربت جوارح منصور وتساقطت دموعه وهو يكاد ان لا يصدق مثل هذا الخبر عن الفريد لانه كان بانتظار مجيئه مع عروسه لقضاء شهر العسل عنده فقال له وكيف العمل الآن

قال حبيب ارى ان تبعث بالرسائل البرقية الى عملائك في الجهات التي تمرُّ بها الباخرة تسألهم عنه وانا اسافر الى مصر مع اول باخرة تقلع من هذا الثغر لعلي استطيع ان ارفع هذه التهمة عنه باذن الله

قال منصور حسناً ما تقول يا ولدي ولكن ما الذي تنويه بعد سفرك الى مصر

قال حسيب لا اعلم شيئاً من ذلك الآن غير اني عازم على التوجه الى بيت عم الفريد في الاسكندرية لآخذ منهم الاستعلامات اللازمة ومن هناك اسعى في التقرب من والد الفريد لعلي استطيع بواسطة الحكومة من بث الارصاد على اعمال تلك الامرأة الشريرة فربما اتصل بذلك الى كشف هذه الخيانة واتصرّف حينئذٍ بحسب مقتضى الحال انما يجب ان اجعل لعديلك ثقة فيّ لئلا يظن بي سوءًا

قال منصور اما اكتب اليه بذلك واعلمه ان مرادك من السفر الى مصر السعي في كشف هذه الخيانة

قال حسيب غداً اذهب الى مكتب حضرتكم ونسعى في ما يقتضيه السفر واما الآن فقد تأخرنا عن السيدتين فربما خامرهما ظن فاذا قابلناهما فوّض اليّ الامر لاقص عليهما موضوع هذه الرواية ونسند سبب انفرادنا الى مقابلة مؤلف الرواية فلما رجعا قالت والدة جميلة نحن بفروغ صبر ننتظركما لنقف على حكاية حسيب

قال حسيب ذهبنا للسؤال عن موضوع الرواية لانها مؤلفة حديثاً ولم تطبع بعد فقصدنا المؤلف وطلبنا اليهِ قصها فقصها علينا وهذا ملخصها

موضوع الرواية الحب المستعصي — وهو ان شاباً مهذباً كان يتردد على بيت احد الاشراف لاشتغال لهُ مع احد اهل البيت وكان في ذلك البيت ابنة جميلة الخَلق والخُلق فلما عرفت الشاب اعجبت بظاهره ومحاضرتهِ فاشتغل قلبها

به وكان هو قد اصابه ما اصابها ولكن علوّ مكانتها اضعف امله بالحصول عليها حتى كشفت له قلبها واظهرت له حبها فتبادلا عواطف المحبة وبقيا على هذه الحال حتى وصل بهما الحب الى درجة الهيام فطلبت اليه ان يخطبها من ابيها فابى استعظاماً للامر وقال باستحالته عليه

فما زالت تهوّن عليه الى ان بعث يخطبها فرجع بصفقة المغبون وبعد ذلك تقدم بطلبها بعض الاشراف فوعده ابوها بها ولما ذكر لها ذلك اظهرت نفورها فلم يصغ اليها بل اصرّ على تزويجها به ويوم تمّ عقد الاكليل وارفضّ المدعوون دخلت العروس الى الغرفة المعدة لها وبعد نصف ساعة من دخولها دخل العريس فوجدها تخبط بدمها وهي على الرمق الاخير فقالت له ايها الزوج المحترم ربما اكون قد سببت لك بعملي هذا تعاسة او نكداً فلا تؤاخذني فاني احب سواك وسرّ الزواج المقدس لا يدنّس بالخيانة فاقبل احترامي واغفر لي عوّضك الله عني بمن ترتاح اليها نفسك ويكون بها سعادتك واقرأ هذا الكتاب الذي كتبته اليك والسلام

فمن يصف حالة ذلك الرجل حينما راى تلك العروس تخبط بدمائها وهو لم يطلع على شيء مما اظهرته له . واما الكتاب فهذا نصه :

ايها الزوج المحترم

انا احب سواك واحترم سرّ الزواج المقدس فالوفاء يقضي عليّ بان لا استهين بالحبيب الاوّل والزواج يقضي بان لا اخون هذا السرّ المقدس فاخترت الموت شريفة كي لا اخونك ولا اخون الحبيب فالوداع الوداع ولا تؤاخذني على ارتكاب هذه الخطة الشنعاء عوّضك الله عني بمن ترتاح اليها

نفسك والسلام

كان يتكلم حسيب وهو ينظر الى جميلة باثناء كلامه وقد ملأ الدمع عينيها ولم تستطع الآن تستلقي رأسها بيدها فاطرقت في الارض . اما والدتها فقالت يا لله ما هذه العواطف وما هذا الحب الصادق . اما حنا فلم يتأثر بل قال ما خسرت الأ نفسها لتطرفها في العواطف

اما منصور فاستأذن وخرج بغير ان يذكر سبب ذهابه وبعد خروجه رفع الستار

ابتداء التشخيص

فلما بدأ الفصل الاول من الرواية مال السيدتان بكليتهما الى رؤية التمثيل وكذلك حنا اما حسيب فكان غائصاً في بحر من التأملات ليرى وجهاً لخلاص صديقه ودام على هذه الحال حتى نجز الفصل الاول . فنبهه ضجيج الناس فانتبه بغتة وقد اخفى اضطرابه لئلاً تلحظ عليه السيدتان شيئاً منه فتسألاه عن السبب وهناك يضيق ذرعاً عن الاعتذار

اما منصور فتأخر حتى انتهى الفصل الثاني من الرواية ولما وصل سألوه عن سبب تأخره فاعتذر بانه كان مشغولاً مع واحد من عملائه ثم غيّروا الحديث فسألت ام الفتاة حسيباً اذا كان قد اتاه كتاب من الفريد

فقال حسيب وقد حاول اخفاء ما المّ بالفريد نعم قد اتاني كتاب في هذا الاسبوع يقول فيه انه أخر سفره ولم يذكر لي السبب اما انا فقد عزمت على السفر الى مصر لترويح النفس من متاعب الشغل وان شاء الله اقابله

هناك فامكث عنده ريثما نعود معاً

قال منصور لو يسمح لي شغلي بالتغيب ولو وقتاً قصيرًا لسافرت معك لاني قد اشتقت لمشاهدة الفريد ووالده

فقاطعتهُ امرأتهُ وهي تقول يا ليتك تستغنم فرصة اسبوعين وانا اسافر معك فنحضر فرح الفريد ونحملهُ على السفر هو وعروسه بمعيتنا لتمضية بضعة اشهر بيننا ثم نعود اذ ليس لهُ امٌ صادقة تحضر احتفال فرحهِ

فاستدرك منصور بقوله لو يسمح لي شغلي ان اغيب حتى اقل من اسبوعين ولو تقدرين ان تخلي عن البيت مثل هذه المدة لما تأخرت عن الذهاب ولكن كل آتٍ قريب فمتى جاء ان شاء الله لتمضية شهر العسل بيننا نصنع لهُ عرساً ثانياً وكاد يظهر اضطرابه وقد امتلأت عيناهُ دموعاً فخشي انكشاف الامر فنهض من بينهم بدعوى شاغل دعاهُ الى النزول الى فسحة المرسح وقد اراد بذلك ان يطلق العنان لعواطفه

اما هم فلم يلحظوا شيئاً مما ظهر على وجه منصور من الاضطراب الَّا حسيباً وكانت جميلة كانت تحاول الكلام من قبل ذلك الوقت ويمنعها الحياء الى ان قالت موجهة حديثها الى حسيب وهل والدتك تطاوعك على السفر ونظرت اليه نظرًا كان تأثيره عليهِ قوياً

فاجابها بمظهر بسيط لئلا يلحظوا شيئاً من معاني كلامهما او من منطوقه ان سفري لا اراهُ مكدرًا لوالدتي اذا علمت انهُ داعٍ الى انبساطي ومسرَّتي وهو لا يتجاوز بضعة ايام

ثم رفع الستار وكان قد عاد منصور فحوَّلوا انظارهم الى رؤية التمثيل الَّا

هو وحسيباً لان الاضطراب كان لا يزال مستولياً عليهما وهما يتظاهران بغير ما في قلبيهما وبقيا على ذلك حتى انتهى التشخيص وارفض الجمهور

﴿ الوداع ﴾

وفي صباح اليوم الثاني ذهب حسيب الى مكتب منصور وتداول معهُ بالامر طويلاً حتى اقرَّا بان يكتب منصور كتاب توصية بحسيب الى والد الفريد ليكون حسن الظن بهِ فكتب اليه

حضرة عديلي المحترم لا كدرك الله

قد وصلني ما نكبكم من تلك التهمة التي لحقت بعزيزنا الفريد وقاهُ الله منها فقد كان وقعها علينا كالصاعقة فغيبتنا عن صوابنا وصيرتنا في اشتغال بال عظيم اما بعد فناقل هذا الكتاب اليكم هو الخواجه حسيب .... من الشبان الاذكياء الدارسين فنّ المحاماة وهو من اخصاء الفريد واعزّ اصدقائهِ وقد تبرع بالذهاب الى عندكم قصد ان يساعدكم برفع هذه التهمة فاعتمدوهُ وثقوا به بكل ما تريدون كشف الله الحقيقة على يده انه رحيم عادل

هذا ما لزم فاقبلوا احترامي وواصلوني بالافادة عن عزيزنا لاننا على مثل الجمر خوفاً عليه لا ارانا الله به شراً

اما اهل بيتي فبصحة شاملة يهدونكم احترامهم وهم لم يعلموا بالامر لاني قد تحاشيت اخبارهم خوف ان يكون وقعه عليهم عظيماً واطال الله بقاءكم

منصور

فاخذ حسيب الكتاب وودعهُ وسار ثم ذهب فودع اهله ومن يلوذ بهِ

خصوصاً اهل بيت مصور لان بهِ مقرّ فؤادهِ وسالبة لبهِ فلا تسأل عن ساعة الوداع لانها ساعة مهولة بوجود الرقيب فلم ينطق احدهما ببنة شفة مما فيه تبريد غلة او دفع مغلتة ولسان حال كل منهما يقول

انَّ يوم الوداع قطَّع قلبي قطَّع الله قلبَ يوم الوداع

﴿ السفر ﴾

فبعث حسيب قبل سفره رسالة برقية الى اديب قريب الفريد بالاسكندرية ولما وصلها توجه اديب الى مقابلته في الباخرة فاقتبله وعيونهُ تدمع وقلبه يهلع لتذكره نكبة الفريد فاخذ حسيباً وذهب بهِ الى بيته وهناك شرح له ما وصله من اخبارهِ وكيف سافر ثم عرفه باهل عروسه وكانوا بحالة تفتت الجلمود فما فيهم الأعيون جامدة وانفاس باهتة لا حديث لهم الا الفريد وزهة فلما تعرف حسيب بهم اخذ يعزيهم بما وصلت اليه يده ويبشرهم بقرب الوقت الذي تنقشع فيه هذه التهمة وقد ذكر لهم عما كتب له الفريد بالتفصيل ليضيفوا ما عندهم الى ما عنده لعلهم يتوصلون بذلك الى نتيجة تفيد حسيباً في البحث لكشف هذه الخيانة

فمكث حسيب عندهم في الاسكندرية يوماً واحداً اكثره في بيت عم الفريد ليستقصي منهم عما عرفوه عنه وما استفادوهُ من اخصائه ومريديهِ ثم ودعهم وسافر الى القاهرة واول من عرفه فيها والد الفريد وكان قد اضناه الحزن واضعف قواه وهو دائماً مشتت الافكار لا يرتاح الى شيء وكيفما ذهب والى اين لا يتكلم الا بولده وقد بعث الى اكثر الجهات ليستعلم عن مكان

وجوده فلم يقف له على اثر وانما كان كل ظنه انه متخفٍ خوفاً من وصول يد الحكام اليه وقد سعى جهده واقام متشرعين ماهرين ليدفع التهمة عنه ولكنه على من يلقيها وقد اكد تعيينه التهمة عليه

فلما عرف حسيباً رحب به ودعاه الى بيته وهناك عرّفه بامرأته التي لما عرفته ازلت دموعها الكاذبة واخذت تندب الحال التي وصلوا اليها

فتظاهر حسيب بانه متأثر لتأثرها واخذ يخفض عنها بما استطاع لكي لا يجعل عندها مظنة باطلاعهِ على شيء من اعمالها القطيعة وقد مكث عندهم سحابة ذلك النهار ثم استأذنهم بالذهاب فعارضوه على ان يبيت عندهم فلم يقبل بل ذهب واتخذ له غرفة في نزلٍ ريثما يجد ما هو احسن من ذلك

﴿ محافظ القاهرة ﴾

وفي صباح اليوم الثاني ركب عربة وقال للسائق الى المحافظة ولما وصلها استدل على الغرفة التي فيها المحافظ فذهب اليه وطلب الدخول عليه فاعطى الشرطي الواقف على الباب تذكرة مكتوبة على ناحية منها اسمه وعلى الناحية الاخرى مامعناه «ان لديَّ اموراً كليَّة الاهميَّة اريد عرضها على سعادتكم اذا امرتم »

فاذن له المحافظ بالدخول ولما دخل سلم باحترام فردَّ عليه السلام واشار اليهِ بالجلوس ثم حول نظره نحوه كمن يستفهم منه عن سبب مجيئه

فقال حسيب لا بدَّ ان سعادتكم قد اطلعتم على امر انيس ... الذي قد مات مسموماً بحلواء مهداة اليه من الفريد ... على ما قيل

قال نعم وهل لديك شيء يختص بهذا الامر

– ان لديَّ اموراً عظيمة الاهمية لم تسبق الى علم سعادتكم فيما اظنّ

فقرب المحافظ كرسيه منه كمن هو مهتم بتفهم ذلك فقال حسيب قبل ان ابدأ بكشف هذه الامور اطلب الى سعادتكم ان تسمحوا لي بذكر ما دعا الى اهتمامي بها

فانا حسيب بن مجيد... مولدي مدينة بيروت وصناعتي المحاماة والذي حملني على المجيء الى هنا وتشرفي بين اياديكم هو ان الفريد من رفقاء صباي وتربطني به روابط ودّية تقضي على كل منا ان لا يخشى بمكاشفة الآخر في كل ما ينكبه من المكدرات او ترتاح اليه نفسه من المسرّات وعليه فالفريد قد بعث اليَّ بكتاب يشرح لي فيه حكاية حاله وانه قد اتهم بما يتعزّر عليه التخلص منه وقد بان لي من خلال كلامه ان خالته ارادت ذلك رغبة في اهلاكهِ ليخلو لها الجوُّ بالاستيلاء على ميراثهِ وهي التي سعت في اهلاك ذلك المسكين انيس . ويتضمن الكتاب سيرة حياة ذلك الرجل مع خالته وكيف كانت معاملتها لهُ حتى قال في نهاية كلامه ان ما حملهُ على هذا التستر واخفاء نفسه عن الحكام الأ خشية ان لا ينجح في تبرئة نفسه وكل ذلك لما صعب عليه معارفه واهله بالامر

فالذي قد تراءى لي ان الفريد بعد وقوعه في هذه النكبة لم يكن يخلط الأ بفئةٍ قليلة لا تجاوز الخمسة عداً وهذه الفئة قد هوّلت بالامر وصعبت عليه التخلص منه وقد بالغت في تخفيه عن كل من يلوذ بهِ من اهله ومعارفه خوف ان ترادهم عليهِ يفضي الى ما لا تحمد عقباه فلذلك لم يجد من يهوّن عليه الامر

ويسهل له الفوز به بل بالعكس حتى حظروا عليه مقابلة اي انسان فاثر كلامهم به حتى يئس من خلاصه وصار يرى الحياة صعبة عليه لانه قال في آخر كلامه ان قد زاد بي التأثير حتى كاد يقضي عليَّ" وقال ايضاً انه مسافر من مصر ولا يضمن لنفسه السلامة في هذا السفر بمعنى انه ربما تحمله نفسه على الانتحار تخلصاً مما ربما يلحق ببقائه حياً من الاهانة وقال اذا وصلك خبر منعاي ان تنشر ما كتبته لك بكل جرائد العالم لكي لا تفوت احداً فائدة ما اكتسبته بفقدان شرفي وحياتي معاً

فلما قرأت كتابه لم املك نفسي عن السفر الى الاسكندرية قصد ان اراه ولما وصلتها رأيت اهل عروسه هناك بحال تحزن الجلمود فما فيهم الا انفاس باهتة وعيون شاخصة حزناً عليه وقد قالوا انه قبل سفره بيوم واحد شاهدوه فاظهر لهم رغبته في السفر وفي اليوم التالي لم يجدوا له اثراً ولا يدرون الآن اين مقره وكل خوفهم ان يكون عبث بحياته لعظم ما عنده من العواطف وعزة النفس فلما وجدت الحال على ما ذكرت اتيت الى القاهرة لاعرض ذلك على مسامعكم واطلب الى سعادتكم النظر به

ثم رفع من جيبه رزمة اوراق وقال للمحافظ هذه هي حكاية الفريد فاذا سمحتم فاطلعوا على شيء منها. وقدمها له

اما المحافظ فاخذها وقرأ شيئاً منها وهو يقلب باوراقها حتى انتهى الى آخرها فتأمل بتوقيع الفريد ووضعها امامه ثم التفت الى حبيب وتأمله كمن يظن به الرياء وقال له ساقرأها حينما ارى لزوماً لذلك اما الآن فما الذي تقصده

— لا اقصد الآن ان تسمح لي سعادتكم بالبحث في هذا الامر والسعي في

كشف هذه الخيانة وان تغضوا النظر عني اذا وجدتم شيئاً من اجراآتي

– وما هي الاجراآت التي تريد عملها

– هي ان اترقب حركات خالة الفريد وابحث من اين اتت علبة الحلواء ومن كتب الكمبيالة المزورة والورقة الثانية التي اذنت بدفع القيمة الى ذلك المسكين انيس وكيف ذهبت النقود التي قبضها من البنك

– قد بحثنا كثيراً واستحضرنا خالة الفريد وكل من في بيتها واستطقناهم وقد مضى زهاء خمسة وعشرين يوماً ونحن لا نألو جهداً في البحث والتنقيب فوجدنا بعد كل هذا ان التهمة مرجحة على الفريد

– هل تأمر لي سعادتكم بالاطلاع على اوراق الدعوة واجوبة كل من المتهمين

فقال المحافظ لا بأس في ذلك فانا اذكر لك المهمّ منها وهو ان خالة الفريد اقرّت بانها دفعت الى ذلك المسكين هدية الفريد له وهي ربطة رقبة عليها دبوس من الماس واما علبة الحلوى فقالت ان ليس لها علم بها البتة ومثل ذلك الورقتان المذكورتان والنقود التي قبضها من البنك وقد بحثنا فاستحضرنا زوجها وخدمة بيتها ومن كان حاضراً في الليلة التي اعطاها الفريد فيها هدية انيس فلم ينتج من اجوبتهم ما يثبت اكثر مما قالت ولا تزال حتى الآن واهل القتيل يبحثون كيف ذهبت الدراهم التي قبضها ومن اين اتت تلك العلبة. فكل ما ذكرته لك يرجح التهمة على الفريد ويظهر ان له بها الباع الطولى

فقال حبيب اذا كان الامر كذلك فهل تأمرون لي بالولوج فيما يكشف هذا المخبأ ويكون ذلك بمساعدة سعادتكم لعل الله يوصلنا الى ما به الحقيقة

قال المحافظ ان النظام لايخوّل لك الولوج في الامر على ما ذكرت انما نظرًا لما لاح لي من ذكائك واجتهادك وما ابديته من تقديم رزمة الاوراق التي فيها كتاب القريد لك افوض لك البحث في الامر على ان لا تتعرض لما ليس من شأنك مما هو خاص بالبوليس او الشرط واذا احتجت الى شيء من ذلك فاستعن بالبوليس اوالشرط على ما تقتضيه الحال ونحن نقبل منك كل ملاحظاتك اذا كان فيها شيء من الحقيقة

. فشكر حسيبٌ المحافظ وقال له فاذًا ارجو من سعادتكم ان تأْمروا رئيس البوليس بمساعدتي حسبما اشرتم وذلك اذا اقتضت الحاجة اليه

فبعث المحافظ من يدعو له رئيس البوليس ولما حضر امامه عرفه بحسيب وذكر له حكايته وماذا ينويه ثم امره ان يساعده بما يحتاج اليه من معاضدة البوليس فكرّر حسيب ثناءه على المحافظ لما ابداهُ نحوه من الالتفات

﴿ محل سكن حسيب ﴾

ثم استاذن وذهب فتوجه توًّا الى بيت ابراهيم والد القريد وكان اذا جلست اليه خالة القريد يتظاهر بخلاف ما عندهُ لكي لا يوجد عندها مظنة به فلا تخاف منه شرًّا ثم طلب الى ابراهيم ان يعرفه بمن عرفه من اصدقاء القريد الاخصاء ولما تسهل له ذلك صار يأْخذ افكارهم بالامر فوجد ان معظم الافكار متجهة الى تهمة خالته وكلهم كان يلوم القريد على تخفيه لانه لو كان حاضرًا لقدر ان يرفع عنه التهمة فلما عرف حسيب ذلك ورأَى ان له انصارًا كثيرين كتب الى امين في الاسكندرية بواقعة الحال وطلب اليه ان يعرفه

بمن يثق به من العائلات في القاهرة اذا كان يقدر على ان يحملهم على السكنى بقرب بيت ابراهيم ليكون لخالة الفريد بالمرصاد

فبعث اليه امين اني كتبت الى الخواجه مجيد عندكم وهو من اعزّ اصدقاء الفريد وبيته قريب منه وهو يتمنى ايّ خدمة يستطيعها لمساعدتهِ فاذهب اليه تلقه اقوى مساعد وكن على ثقة تامة منه

وكان كما قال امين لان مجيداً من القوم الفضلاء وهو في الخامسة والثلاثين من العمر لطيف المحاضرة كريم النفس اديبا يحب الشهامة ويكره المتلوّنين باحاديثهم لا يحمل نفسه على غير الحق ولو كان به حتفه وكان يسكن بيتاً شرقي بيت ابراهيم في الدور الاعلى فيقدر انْ يشاهد اكثر ما يحصل في بيت جاره ولا يدري ذلك به

فلما ذهب حسيب اليه اكرم مثواه واحلهُ محلاً عزيزاً ثم تداولا في الامر فرأيا بعد طول البحث ان يضع حسيب رقيباً على حركات خالة الفريد يأتيهِ كل يوم بتقرير عما يشاهده في بيتها مما يتعلق بها وقد كان كذلك فاتى حسيب برجل يثق به ووكل اليه امر مراقبة حركات خالة الفريد وكان ذلك في صباح اليوم الثالث من مقابلته المحافظ

من اين ابتاع العلبة

ولما تمَّ لحسيب ذلك توجه الى المحافظة وطلب باذن من المحافظ ان يطلع على العلبة التي كانت بها الحلواء ولما صارت بيده اخذ يقلبها ويتأملها لعله يرى بها ما يدلُّ على المحل الذي ابتيعت منه فرأى بعد التأمل الكثير

حرفين يكادان لا يظهران وكأنهما ممحيّان وهما A-S فاخذهما بذكرة وحفظ رسم العلبة ثم ذهب الى دكاكين بائعي الحلواء وهناك صار يبحث وينقب حتى عثر بعلبة عليها مثل تلك السمة ثم نظر الى غيرها في ذلك المحل فرأى كل المصنوعات التي فيه على هذه الصنعة فعلم ان العلبة التي كانت بها الحلواء لا بدّ ان تكون مبتاعة منه فتقدم الى احد مستخدمي المحل وطلب اليه ان يأتيه بواحدة من نوع تلك العلبة ووصفها له بالتدقيق

فاخذ ذلك المستخدم يقلب بين موجودات المحل حتى مرّ بأجمعها تقريباً ولم يرَ مطلوبه فتقدم الى مستخدم ثانٍ وقال له اذكر ان قد كان عندنا علب بالصفة الفلانية ووصف له المراد من شكلها

فاجابه ذاك قائلاً - بانه قد كانت عندنا وبيعت وآخر علبة قد بيعت من نحو اسبوعين تقريباً

فالتفت اليه حسيب وقال له الم يكن عندكم غير التي بيعت من اسبوعين

قال نعم قد كان عندنا وانما الاخيرة منها هي التي بيعت في ذلك الوقت

فقال حسيب الا تذكر ان واحداً اتى من نحو شهر ونصف تقريباً وابتاع منكم مثل العلبة التي اشتريت لكم عنها

ففكر المستخدم قليلاً ثم قال له نعم . نعم اذكر . اليس هو المستخدم في محل ... بالموسكي التاجر بالبضائع الحريرية

فقال حسيب وتظاهر بمعرفته بان لي من كلامك انك قوي الذاكرة ولكن هل تذكر اسمه

قال لا اذكر اسمه وانا اذكر انه .. اريد ان تكون هذه العلبة دقيقة

الصنعة وقد فتش كثيراً بين مصنوعات المحل حتى اعجبته تلك

فقال حسيب الا يجيئكم منها بعد بضعة ايام

لا اظن ذلك الاَّ اذا طلبنا تشغيلها لان مثل هذه السلع يأتينا منها اثنتان او ثلاثة واذا زاد عن ذلك فتختلف الصنعة فيها لأنها ليست صنع معمل بل صنع صانع قد نقشها بيده فاذا عمل سواها لا بد من ان تختلف الصنعة فيها عما قبلها

فقال حسيب اذا كان الامر كذلك فكيف كان عندكم منها كثير

قال لم اقل كان عندنا منها كثير انما قلت ان الاخيرة قد بيعت من نحو اسبوعين . والذي اتانا من هذا الشكل ثلاث من ثلاثة اشهر فبيعت الاولى حين وصولها والثانية التي اخذها صديقكم والثالثة هي التي بيعت من اسبوعين فترجح عند حسيب من كلام المستخدم ان الذي قد اشترى العلبة من نحو شهر ونصف هو عشيق خالة الفريد

فقال المستخدم لا تؤاخذني على كثرة هذه السؤالات ثم سلم وذهب فاستقصى عن المحل الذي اشار اليه الصائغ في الموسكي ولما وصله دخله وابتاع منه بعض الحاجيات له وقد اكثر من التقليب والبحث ليطيل الوقت ويعرف كل مستخدمي ذلك المحل حتى يستدل على صاحبه فدام على هذه الحال حتى وقع نظره عليه وكان واقفاً الى الجهة التي يبيعون فيها الحرير والاطالس فلما وقع نظره عليه وتأمله قليلاً تذكر ما كتب اليه الفريد عن مقابلته رجلاً عند خالته يوم مجيئه من الاسكندرية وقد دعي لحضور حفلة الفرح وصف له هيئة ذلك الرجل بما ينطبق على هذا وصفاً لا

حليق اللحية الا العنفقة (اي اسفل الشفة السفلى) فلما كاد يتا كده قرب منه وطلب اليه ان يريه امثلة (عاينات) الاطالس فلما قدمها اليه اخذ يقلبها بيده وهو آخذ معه بالحديث فيسأله تارة عن اللون المرغوب وطورا عن القماش المتين وما اشبه ذلك لكي ترسخ صورته في ذهنه ولعله يستفيد شيئاً عن اخلاقه وبعد ان مكث معه وقتاً أخذ منه قطعاً بدعوى ان يريها في البيت ويعود فيأخذ مطلوبه

﴿ المراقبة ﴾

ثم تركه وذهب الى البيت وكان قد مرَّ على المراقب من صباح ذلك النهار فدعاهُ اليه وسأله عما استفاده بمراقبته

فقال رأيت في صباح هذا النهار خادماً يتردد الى هذا البيت وكأنه يتطلب التستر عن بعض من فيه لانه كان يضرب حوطة الحديقة وهو ينظر الى داخلها كانه غير متعمد النظر حتى التقى نظره بنظر سيدة البيت فحولت تلك نظرها عنه فلما شاهد منها ذلك رجع وما غاب مدة طويلة حتى عاد وصار يتطلع الى داخل الحديقة حتى نظرت اليه السيدة مرة ثانية فاشارت له الى مكان ذهب اليه حتى التقى بها فالقى اليها كلاماً وعاد سراعاً

فسأله حسيب عن هيئة الخادم

فقال له قصير القامة رفيعها حاد البصر يلبس قفطاناً وعلى رأسه طربوش اسلامبولي

فقال له عندما رجع الى اي الشوارع ذهب

ذهب الى جهة شبرا الكبيرة

فقال له سابقى كل هذا النهار في البيت حتى اذا شاهدت شيئاً من ذلك تسرع فتعلمني به حالاً ولما قال ذلك ذهب الى غرفته

وفي الساعة الثانية بعد الظهر دخل المراقب على حسيب وقال له ان السيدة منفردة في الحديقة تتلاهى بتقليم اغصان الاشجار وكأنها مأخوذة بشواغل اخرى لانها لا تستقر على حال ولا يهدأ بصرها الى شيء ما لم تحوّله الى سواه كأنها ترقب مجيء احد او تخاف مداهمة رقيب

فلما سمع حسيب هذا الكلام قال للمراقب الزم السكينة وتعمد التخفي ما امكن ثم تحوّل من غرفته الى نافذة في البيت تطلّ على الحديقة ووضع حاجزاً في النافذة ليرى منه ولا يُرى وقد شاهد من حركات خالة الفريد ما ينطبق على ملاحظة المراقب فانها كانت تنتقل ببصرها الى كل الجهات وهي تتظاهر بتقليم الاغصان وانما في بعض الاحيان كان يضيق صدرها عن كتمان ما في قلبها من الغيظ والخوف فتطلب التشفي وليس لديها ما يشفي غلةً فتضرب بمجل كان بيدها شجرة امامها وتنكت الارض برجلها تشفياً لما في فؤادها

وبينما هي على هذه الحال اتى الخادم وقال لها سيدي في البيت يطلب مواجهتك

فخفت في مشيها وهي حاملة المنجل بيدها وقد رفعت ذيل ثوبها وشكلته بتكة من الحرير المزركش بالقصب ملفوفة على وسطها لكي تظهر لزوجها عنايتها في تنظيم الحديقة وترتيب الرياحين وتهذيب الاشجار واما اضطرابها فكان ظاهراً من تغيير ملامح وجهها لانها كانت تتعثر بمشيتها حتى دخلت البيت وما غابت فيه زهاء عشرين دقيقة حتى عادت وهي تتكلف الزهو مختصرة يد

زوجها واخذة معه بالحديث

اما هو فكان بحال تفتت الجلمود وقد انحله الحزن وانهك قواه ورسم على عينيه هالة زرقاء تظهر للناظر اليها عن بعد عشرين خطوة

فلما صاروا في الحديقة اخذا مكاناً منفرداً وبدأا بحديث يدلُّ مظهره على انه ذو بال لان ابرهيم كان يتكلم بغضب وهي تأخذه بالملاينة والملاطفة

وبينما هما على هذه الحال اتى الخادم الذي وصفه المراقب لحسيب فضرب حوطة الحديقة وهو ينظر الى داخلها ولما لم يرَ احداً صعد الى مرتفع بالقرب منهـا وجلس القرفصاء وهو لا يزال محدقاً الى داخل الحديقة ودام على هذه الحال حتى ملَّ الانتظار فعاود التمشي حوالي الحديقة

كل هذا وابراهيم وزوجته آخذان بالحديث حتى نظر ابرهيم الى الساعة فنادى احد الخدم وقام فذهب الى البيت فذهبت معه امرأته ولكنهما ما غابا فيه الاَّ قليلاً حتى خرجا وامامهما الخادم ينقل شنطة صغيرة حتى وصل بها الى عربة واقفة بقرب الباب الذي يطل على الشارع فوضعها فيهـا ووقف ينتظر اوامر سيده فلما وصل سيده الى موقف العربة اشار اليه ان يذهب ثم ودع امرأته واشار الى السائق فذهب به الى ناحية المحطة

اما امرأته فعادت الى الحديقة ولما وقع نظرها على الخادم اشارت اليه ان ينفرد جانباً حتى اذا اقتربت منه القت اليها كلاماً و دفع اليها كتاباً ووقف كمن ينتظر الرد عليه اما هي فقرأت الكتاب ثم القت اليه كلاماً فاشار بالطاعة ثم سلم وذهب

وبعد ذهابه توجهت الى غرفتها من البيت وبدلت ثيابها وخرجت وهي

تتهادى في مشيتها الى ان وصلت الى الباب المؤدي الى الشارع فوقفت قليلاً ثم اشارت الى احد الخدم ان ياتيها بعربة

اما حسيب فلما احس بما تنويهِ من الذهاب نادى الرقيب وقال له ان يذهب ويأتيهُ بعربة مقفلة فما غاب المراقب الأَ واتاهُ بها فاسرَّ حسيب الى السائق ان يتبع اثر عربة السيدة كيفما سارت بدون ان تشعر تلك به

فقال سمعاً وطاعة

ثم أَقفل حسيب نوافذ العربة الأَ من الامام والوراء فان لها نافذتين مقفلتين بالزجاج فاذا تقدمتهُ عربة السيدة قدر ان يراها من النافذة التي امامه ووراء السائق وان تاخرت فمن النافذة الصغيرة التي وراءه وهو في كل الاحوال لا احد يقدر ان يراه من الخارج

وكان حسيب قد توفق الى استحضار العربة وافهام السائق ما اراد افهامه قبل ان تركب وردة (رابة القريد) عربتها وكانت عربته متأخرة عن تلك زهاء مائة متر

فلما ركبت وردة اشارت الى السائق ان يسرع في المسير حتى وصلت الى مكان منفرد ليس فيه بناء الأَ بعض أكواخ للفقراء والمزارعين وكان الى يسار ذلك المكان بعض الاشجار المتوزعة في تلك البقعة فلما وقفت عربتها همَّ سائق عربة حسيب بالوقوف فاشار اليه ان يداوم المسير خوف ان يوقع عندها مظنة فداوم المسير الى ان بعد عنها مسافة فاخذ جانباً منحازاً من الطريق يمكنه فيه ان يرى الجهة التي نزلت فيها وهي لا تدري به

اما وردة فلما نزلت من العربة تمشت الى ما وراء هذا المرتفع وكان هناك

بيت صغير تكتنفهُ حديقة لطيفة فلما وصلت اليه طرقت على الباب ففتح في الحال والذي فتحهُ تدل هيئتهُ انه خادم المحل وكأَنهُ كان بانتظار مجيئها لانه لم يتأخر حين طرقها الباب بل فتحه حالاً وبعد وصولها بقليل من الزمن وصلت عربة اخرى وكان فيها رجل فلما نزل منها تأمله حبيب فاذا به نفس الذي قد رآهُ في الصباح واخذ منه امثلة الاطالس وهو الذي ابتاع العلبة من عند الصائغ فتأكد عندهُ حينئذٍ انه هو الجاني بعينه وانما بقي عليه ان يطلع على شيء من خطه فيقابله بخط الورقتين المزوَّرتين ثم انتظر ريثما دخل البيت الذي دخلته وردة واشار الى السائق ان يعود خوفاً من ان ينكشف امره لاحد

﴿ الورقتان المزوَّرتان ﴾

وفي صباح اليوم الثاني بعث حبيب احد الخدم الى المحل الذي فيه حبيب (عشيق وردة) واشار له عن المكان الذي هو واقف فيه وقال له خذ هذا الكتاب اليه وأْتني بالجواب حالاً لاني بانتظارك هنا

وكان في المغلف بعض امثلة الاطالس التي رآها عند حبيب وكتاب يقول فيه

لقد اعجبني من امثلة الاطالس التي اخذتها من عندكم صباح امس الاشكال الموجودة في هذا المغلف فارجو من فضلكم ان تكتبوا الي على هذه الورقة عرض القماش من كل شكل من الاشكال الموضوعة طيه مع مقدار ثمن المتر حتى ارى اللازم لي فاعلمكم عن مقداره وابعث لكم نقوداً مع الذاهب اليكم واطال الله بقاءكم كاتبه

حبيب

فاخذ الخادم الكتاب الى حبيب ولما وصل اليه دفعه له فاخذه منه وفضهُ ولما قرأه كتب على قفاه قائمة بوصف الامثلة التي بعثها اليه حسيب مثل عرضها وثمن المتر منها حتى ملأ صفحة كاملة ووقع عليها بتوقيعه ثم اعطاها الى الخادم فاخذها منه وعاد سراعاً الى البيت وكان حسيب ينتظره على مثل الجمر فلما اخذ الكتاب وفاز بشيء من خط حبيب لم يملك نفسه عن الفرح فركب عربة وذهب تواً الى المحافظة وطلب الى المأمور الذي هناك باذن من المحافظ ان يطلعه على الورقتين المزوّرتين ولما تمّ له ذلك قابل خطها على خط حبيب فاذا به يشبهه كل الشبه فلما شاهد المأمور الكتابة التي مع حسيب سأله عمن كتبها

فاعتذر له حسيب عن عدم امكانه الجواب على سؤالهِ قبل ان تثبت الحكومة التهمة على صاحب الخط

ثم ودعه وتوجه الى رئيس البوليس فحكى له كونه اشتبه بان حبيباً هو «عشيق ربة الفريد» وقد استدل الى ذلك بقرائن جمة منها انه هو الذي ابتاع العلبة التي كانت فيها الحلوى السامة وان خط الورقتين المزوّرتين يشبه خطه كل الشبه وانه يجتمع بخالة الفريد اجتماعات سرية على حين انه غريب عنها ولا معرفة له باهلها اصلاً فلا يبعد ان يكون هو الجاني على ذلك المسكين انيس ويخشى ان يكون قد سعى لالفريد في تهلكة (لاسمح الله) ليخلو لهُ الجوّ ولا يبقى من يتصل الى خفاياه القديمة

فقال لهُ رئيس البوليس لله دركَ ان كان حقيقاً ما وصلت اليه من الاستعلامات لان هذه المسألة من المسائل المهمة لكثرة تشعباتها فكم اضرّت باناس وقرّحت اجفان آخرين واهمها نكبة الفريد واختفاؤُه وقد كان

مثال الفضيلة باعماله ولا يميل الظن ان يصدق عنه ما نسب اليه اما انا فلا اخاله متخفياً لما اعلمه عنه من عزة النفس ولا اشك ببراءته فلعل في المسألة اموراً لا نعلمها حتى الآن

فقال حبيب اذا كان هذا اعتقادك بالفريد والكثيرون ممن يعرفونه على هذه الصفة فكيف حتى الآن لم تصل الحكومة الى شيء من كشف هذه الجناية

– ان الحكومة قد فتشت عن المتهم به ولما لم ترَ له اثراً رابها الامر ولكن على من تلقي التهمة اذا لم يكن في الامر غير انيس والفريد فذاك قد مات بسم مهدىً له طي هدية الفريد والثاني لا يعرف اثره حتى الآن وقد قال اهل القتيل انه قال عند تردد النسمات الاخيرة من حياته لاتظنوا بالفريد شراً خالته حكت واسلم الروح فلما لم يكن للحكومة دليل الى البحث عن هذا السر الا هذه العبارة المختصرة استحضرت خالة الفريد وكل من في بيتها واخذت استنطاقهم ولكنها حتى الآن لم تصل الى نتيجة تلقي بها التهمة على رابة الفريد فعسى ان تصل ببحثك الى ما يكشف الحقيقة على يدك ويكون الفريد حياً فيدافع عن حقوقه وينال كل ذي حق حقه باذن الله

فاثنى حبيب على رئيس البوليس لما ابداه من الغيرة واللطف وطلب اليه ان يأمر له باحد البوليس السري ليكون رفيقاً لحركات حبيب

فاستحضر رئيس البوليس من يثق به من البوليس السري وكشف له الامر وقال له اتبع مشورة حبيب افندي بكل ما يريده وهو يهديك الى ما به كشف الحقيقة

فقال سمعاً وطاعة وكان اسمه اسماعيل

﴿ البوليس السرّي ﴾

فودع حبيب رئيس البوليس وذهب مصحوباً باسماعيل فحكى له كلما يهمه معرفته عن حبيب ودلّه على محل شغله وقال له يلزمك قبل كل شيء ان تجعل لك معه علائق ودية وتتقرب منه وتتظاهر بصداقته وتكثر من مخالطته بما يجعل له بك ثقة فيسهل لك حينئذٍ استكشاف اسراره واستظهار بواطنه

ثم اخذ حسيب من جيبه صرّة من الدراهم ودفعها الى اسماعيل قائلاً له استعن بهذه النقود على التقرب منه ولا تبخل لنفقتها عليه خصوصاً في حال الشرب وجاره على طباعه وممشاه لانه اذا اخذت براسه سورة الخمر وآنس بك كرماً ترتفع منزلتك عنده ويزيد اعتبارك في عينيه فيشاطرك افكاره الزميّة وهناك اشياء وطرق لاكتساب ثقته بك تختلف باختلاف الاحوال والمشارب وعلى كلّ فانت اقدر على معرفة ما يوصلك الى حقيقة الامر فاستعمل الحكمة في تخفيك وفق الله مسعاك

فقال له اسماعيل كن في طمأنينة من هذا الامر فانت قد تكلمت في هذه المسألة من وجهها النظري وانا سالج بها ولوج من حنكه الدهر وعلّمه الاختبار وان شاء الله ستصلك الحقيقة باقرب ما يكون من الوقت فكن في راحة بال ثم ودعه وافترقا

فذهب اسماعيل الى المحل الذي فيه حبيب ولما دخل ذهب توّاً اليه وقال له ارني مثُلَ الاطالس ولما صارت في يده قلّب بها قليلاً ثم قال له لم ارَ في هذه البلد من الحرير والاطالس ما يليق بالهدية فقد فتشت كثيراً في غير هذا المحل

وقلبت كثيرًا في بضائع التجار ولم اجد بينهم من اعتنى بجلب اشكال تستوقف النظر او تليق بالهدية ثم تنهد لكن هو ضيق الصدر لعدم وصوله الى ما يريد

فقال له حبيب هذه الاشكال الموجودة عندنا هي من اجود الاقمشة التي في مصر واعظم الناس ياخذون منها

فقال اسماعيل وان كان اعظم الناس يأخذون منها ألا ينبغي ان يوجد احسن منها كثيرًا وان لم يكن في هذه البلاد ففي البلاد الاوربية

فقال حبيب لا انكر على حضرتكم انه يوجد في البلاد الاوربية ما هو احسن من هذا كثيرًا وانما تلك لا يقدم على شرائها الّا اعاظم الناس قصد التفاخر بها لما تكلف من الدرهم الرنان

قال اسماعيل لا بأس في ذلك فانا مستعد ان ادفع ثمن عشرة امتار من اللون الذي يروق لديّ مهما تريد ومستعد ان اضحي كلما اقدر عليه فقط ارجو ان تقع هديتي هذه عند المهداة اليه موقع القبول وتظاهر كانه غلط بابداء هذه الافكار واستطرد الحديث لكن يجب ان يخفي ما فاه به من غير انتباه فقال يوجد رجل لهُ فضل عظيم عليّ وهذا الرجل سيتأهل قريبًا واحب ان اهديهُ ما يروق لديه فلم ارَ شيئًا يكون اكثر وقعًا عنده من مثل هذه الهدية التي يفتخر ان يقدمها لخطيبته لانها اثنهُ هدية بمثل هذه الاحوال

ثم اخذ من جيبه جنيهين ودفعهما الى حبيب وقال له ارجو من لطفك ان تبعث وتطلب لي الامثلة (العاينات) التي ذكرتها لي وهذان الجنيهان هما مقابل ثمن الامثلة والمصاريف . انما آمل ان يكون ذلك باقرب ما يمكن من السرعة

واراد اسماعيل ان يظهر لحبيب بعمله هذا ثلاثة اشياء اولاً انه يحب فتاة وقد فاه بذلك اثناء حديثه رغماً عنه وقد غير الحديث ليخفي ذلك عن حبيب . وثانياً انه من اواسط الناس ليتسنى له التقرب منه . وثالثاً انه من اهل الكرم والزهو ليرغب في معاشرته

اما حبيب فاعجب بكرمه وقال له لا حاجة بنا الى كل هذه الكمية فالنفقات على ما اظن هي اقل من هذه القيمة كثيراً وهمّ بدفع الجنيهين

فابى اسماعيل وقال متبسماً نحاسب وقت استلام القماش ثم سأله متى تظن بوصول الامثلة

– بعد اسبوعين فقط

فشكره ثم ودعه وذهب

﴿ معرفة الجاني ﴾

وفي الساعة التاسعة مساءً كان اسماعيل يتجول حوالي الازبكية فيمرّ بالقهوات التي في طريقه ويتفقد من فيها لعله يرى صديقه حبيباً او يقف له على اثر فقرّ باكثر تلك الاماكن حتى اعياه التفتيش فتوجه الى محلات الرقص والمغنى فذهب الى (الالدورادو) وهو محل متسع في صدره دكة مزينة بالفرش الثمين عليها المغنيات والراقصات وضاربو الآلات. فلما دخل نظر نظراً عاماً في الجالسين فاذا بحبيب جالس الى طاولة وكانه غارقٌ في تيار من التأملات لانه كان لاهياً عن كلما يدعو الى الانتباه من ضرب الآلات وغناء المغنيات وتطييب المطيبين وقهقهة الضاحكين فلما رأى اسماعيل ذلك اخذ مكاناً

قريباً منه وتظاهر بعدم انتباهه اليه لانه جلس الى طاولة ووجه بصره الى ناحية المغني وما استقر به الجلوس الا وقد اقترب منه احد خدمة المحل فسأله عما يشرب

فقال له هات كاساً من البيرا

ثم تظاهر بالتفاتة كمن غير متعمد النظر فوقع نظرهُ فيها على نظر حبيب فاشار له بالسلام وطلب اليه الجلوس معه فامتنع اولاً متشكراً لكنه بقي عليه حتى اتى . فلما جلس ضرب اسماعيل على الطاولة بعصاة كانت بيده فاتى الخادم فقال له (شوف الافندي ما ذا يريد)

فقال حبيب كأساً من الكنياك

فلما ذهب الخادم ليأتيهِ بما طلب بدأ اسماعيل الحديث بقوله هل بعثت بطلب الامثلة

نعم وانما البوسطة تسافر في الغد الى اوربا وبعد خمسة عشر يوماً تكون الامثلة هنا

فتنهد اسماعيل وهو يقول لا يمكن تقصير هذه المدة واخذ كأس البيرا ثم ضربها بكأس صديقه وهو يقول (بمحبتك) فاجابه ذلك بالمثل وشربا الكاسين عن آخرهما وبعد ذلك اجابه حبيب على كلامه بقوله اراك مستعجلاً ولكن كل آت قريب

فتظاهر اسماعيل كمن غلط بابداء هذا التنهد وقال لا بأس من التأخير انما اخشى ان تفوت مدة الخطوبة . ثم ضرب على الطاولة فحضر الخادم فقال له هات والتفت الى حبيب يستفهم منه عما يشربهُ فقال له ذلك كنياك فقال

اسماعيل هات زجاجة من احسن جنس منه فابدى حبيب امارة التعجب من هذا الطلب وقال له من يقدر على شربها

فقال اسماعيل كلا انا وهل عجزت قبل ان نبدأ بالشرب « ما شاء الله »

فقال حبيب انا لست مستعداً هذه الليلة للسهرة في البلد واخشى ان تسكرنا هذه الزجاجة

فقال اسماعيل لله درك ما اقدرك على التخلص أمثل هذه الزجاجة يسكر مثلنا · وهل احد مثل هذا الوقت يذهب للسهرة دع عنك هذا التصور فالآن الساعة العاشرة ومتى تذهب · ارجو ان لا تفتكر بهذا الامر وهذه الليلة يجب نقضيها في البلد وانا أكفل لك سرورك - انا مسرور بمشاهدتك ولكن ...

فقاطعه اسماعيل بقوله لا تكثر من الاعتذار فانا في هذه الليلة اتكفل بانبساطك حلوان المعرفة حتى تعتني لي بما كلفتك به وبينما هما آخذان بالحديث اتى الخادم بزجاجة الكنياك فاخذها اسماعيل منه وملأ كأسه وكأس صديقه وقال له اشربها معافى فاخذ كلاهما كاسه وشربها ثم ملأهما مرة ثانية وقد خشي اسماعيل ان يؤثر به الشرب اذا جاراه فنادى الخادم ولما اتى القى في اذنه كلاماً واشار الى احدى النساء الجالسات في ذلك المحل فقال له الخادم « حاضر » ثم اتت امرأة عليها لباس من الحرير الابيض مزركش بالقصب وعليه ملاءة من الحرير الاسود نازلة على اكتافها وملقية على جسمها من غير اعتناء وهي تتهادى بمشيتها دلالاً ذات اليمين وذات الشمال فترشق هذا بنظر حاد وتبتسم في وجهه تبسماً لطيفاً والاخر ترمقه شذراً كأنها تعاتبه على اقلاله من المجيء الى ذلك المحل او على اغضائه عن مهاداتها بالمشروب كما هي العادة

فلما وصلت الفتاة الى المكان الذي فيه اسماعيل وحبيب استقبلاها باهلاً وسهلاً ياست امينة وقرب اسماعيل لها كرسياً وقال لها تفضلي

اما هي فلما وصلت اسندت يديهـا على الكرسي وقالت ليلتنا سعيدة فقال لها اسماعيل «اهلاً وسهلاً» تفضلي واشار لها ان تجلس على الكرسي ولما جلست ملأ كاساً وقدمها لها واظهر انه يريد مباغمتها فقرب كرسيه منها والقى في اذنها كلاماً مآله ان تحامل على حبيب في المتروب وتتغاضى عنه وكان حبيب لاهياً عن اقتراب صديقه من الفتاة لانه كان مصغياً لسماع انغام استلفتت انظاره اما هي فلما فهمت مراد اسماعيل تظاهرت باجفالها منه وقالت كن كصديقك لطيفاً خفيفاً وقربت كرسيها من حبيب فمال حبيب اليها واخذ بملاطفتها فملأ الكاسات الأ كاسه فوضع بها نصفها

فلما لحظت الفتاة منه ذلك افرغت كاسها بكاسه واخذت كاس اسماعيل فشربتها وقالت من طلب الزيادة وقع بالنقصان وضحكت

فقال اسماعيل اذا كان يسرّك امتناعي عن الشرب فلا باس منه

قالت نعم وتبسمت

فقال لا اشرب حتى تأمري بذلك

فقال حبيب انا اتوسط بالامر وملأ كاس اسماعيل

فقال اسماعيل ونظر الى الفتاة متبسماً اشربها

فقالت لا واخذت الكاس ووضعتها على فم حبيب وقالت له ان لم تشربها افرغتها على اثوابك . وبقوا على هذه الحال حتى اثر المتروب بحبيب فصار اسماعيل يملأ كاسه ماء الا القليل منه ويضع فوقه كنياكاً ويملأ كاس

حبيب كنيا كما صرفنا

كل هذا وحبيب تائه بباغمة الفتاة ومداعبتها

فلما احس اسماعيل بما وصلت اليها حال حبيب من السرور اظهر انه منقبض لطول مدة مكوثهما في (الالدورادو) وضرب على الطاولة فاتى الخادم فنقده جنيهاً فاخذه منه وارجع له بقيته فلما اخذ البقية اعطى الخادم هبة وقال لحبيب هيا بنا فصعب عليه الذهاب ولكنه لم يستطع الا مطاوعة صديقه فوقف ثم اشارا الى الفتاة مودعين وذهبا ولما صارا خارج المكان « سارا قاصدين بمشيهما شارع وجه البركة » قال اسماعيل لا اطيق المكوث طويلاً في مكان واحد بل انقبض منه واحب دائماً التنقل

فقال حبيب هذا شأن من اخذ بفؤاده عامل الغرام فلا يطيب له مقام ولا تلذ له المسرّات الا بقرب من يحب

فقال اسماعيل متبسماً يبان لي ان كلامك في هذا الامر يدل على اختبار عظيم

فقال حبيب لما كنت مثلك وكان العشق في ابّان تأثيره عليّ كنت لا اميل الا لمباغمة الحبيب ومشاهدة احواله واستطلاع اخباره وان لم يتيسر لي شيءٌ من ذلك التزم الانفراد واتنسم نسيماً اتى من عنده او اردد على نفسي الفاظاً تلفظ بها واتذكر كلما عرفته عنه

فتبسم اسماعيل ثم قال يالله ما اسمى عواطفك واقدرك على وصف المحبة في اسمى حالاتها ولو كنت كما ذكرت ما اتيت الى هذا المكان لاقتل الوقت بباغمة هذه ومداعبة تلك ثم استدرك وقال ما لنا ولهذا المبحث الصعب فنحن

الآن في موقف لهوٍ وانبساط ولسنا في موقف حب وغرام ثم اختصر زند حبيب وذهب الى ناحية شارع « وجه البركة » وكان اسماعيل في كل ذلك يتظاهر كأنه في شاغل عظيم من المحبة ويريد اخفاء ذلك عن حبيب حتى ان حبيباً ارتاب في اخفاء ما في ضميره من المحبة وصار يسعى في استكشافه فلم يدع بارقة تمر سدًى عن الحب وآلهِ الاّ ويجول في هذا الموضوع توصلاً الى اكتشاف قلب اسماعيل

وكان اسماعيل كلما لحظ منه ذلك لزم التحفظ في الحديث وتظاهر بانقباض النفس واضطراب البال حتى انتهى بهما السير الى قهوة فيها نسوة من الفرنجة تضرب على آلات الطرب والقهوة زاهية بالانوار رائقة المنظر بما فيها من دواعي الزهو والانبساط وكانت ملأى بالناس . هذا امامهُ فتاة تطارحه حديث المحبة وهذا مصغ الى عزف الآلات وغناء المغنيات . والبعض آخذون بالحديث وكلهم تدل عليهم دلائل الزهو والانبساط . فلما وصل صاحبانا الى هذا الموقف قال اسماعيل هلمَّ بنا ودخلا فاخذا جانباً منحازاً وطلبا الى خادم المحل ان يأتيهما بزجاجة من (الشمبانيا) وان يدعو لهما « واشار اسماعيل الى فتاة » وكانت هذه الفتاة لا تتكلم الاَّ بالافرنسية فلما وصلت سلمت عليهما وجلست جلوس الاحتشام فاقتبلاها بالاكرام ومالا اليها يطارحانها الحديث فبدأ اسماعيل الكلام باللغة العربية فسألته بالافرنسية اذا كان يستطيع التكلم بها فاجابها بالنفي وقد اراد بذلك ان يستفيد شيئاً من حديث حبيب مع الفتاة فالتفت اليه وقال له كم انا أسف لجهلي هذه اللغة فكم كنت اودُّ مباغمة هذه الفتاة لانها تشبه وسكت ثم قال يظهر لي منها انها على غاية من اللطف

قال حبيب فلا بأس من ذلك فندعو سواها وتكون تتكلم بالعربية

قال اسماعيل نتفاهم بالاشارة

فضحك حبيب ثم قال قلت تشبه ... وسكت

قال اسماعيل «لا حول ولا» لا تزيد في الدقة فانا اتكلم الآن من غير روية لاني بحالة الانبساط واذا قلت تشبه فماذا ينتج من كلامي تشبه شخصاً احبه

قال حبيب طالما حاولت اخفاء ذلك ولكن

* دلائل الحب لا تخفى على احد *

فقاطعتهما الفتاة وقد وجهت كلامها الى حبيب فقالت له وحضرتك لا تتكلم بالافرنسية

فقال لها نعم وانا مأخوذ بحديث صديقي لانه يتضمن وصف جمالك فبرقت اسرتها وتبسمت في وجه اسماعيل ثم قالت ما اقدرك على استجلاب القلوب من اين عرفني صديقك حتى مدحني

ما قلت انه يعرفك انما قلت انه مدحك وهذا المدح هو ابن الساعة لانك تشبهين من يحب وكأني بالتي يحبها لم تصفه بحبها لان كل حركاته ناطقة بالحب مع محاولته اخفاء ذلك ولما شاهدك احبك رغماً عنه لانك تشبهين حبيبته شكلاً

فقالت والذي يحبها ابنة عرب ووجهت حديثها اليه

فالتفت اسماعيل الى حبيب مستفهماً عما تقول

فخاف حبيب ان هذا الحديث يكدره فقال للفتاة ان لا تفاتحه بذلك خوف ازعاجه ثم قال لاسماعيل تسألك ما بالك تنظر اليها نظر المتعبدين ولم تفه ببنت شفة

فقال قل لما لانها القت بقلبي خشوعاً واهابة ولم استطع ان أكاشفها بما اريد

فتاكد حبيب حينئذٍ أنه مشغوف بالفتاة لمشابهتها حبيبته ونقل اليها كلامه بالافرنسية فاثر عليها لانها اشتمت منه انه صادر عن حب حقيقي لما فهمته من كلام حبيب

بقوا على هذه الحال زهاء الساعة وحبيب يسعى جهده الى استكشاف حال اسماعيل وقد اثر فيه ما كان يظهره من الانقباض والاشارات فزاد في اعتباره ومحبته واستخلاصه ورقّ قلبه له لما ظن به من الحب وكان حبيب قد اثر عليه المشروب حتى كاد يتكلم عن غير محاذرة فقال

جرّبت من نار الهوى ما تنطفي نار الغضا وتكل عما تحرق
وعزلت اهل العشق حتى ذقته فعجبت كيف يموت من لا يعشق

فقد ضاق صدري من كتمانك ما في قلبك فاكشف حبك الى من هو ابن بجدته لعلي اقدر ان انفعك بشيءٍ او اساعدك برأيٍ

فقال اسماعيل قد كاد يغمى عليّ فهيا بنا نخرج الى الخارج لنتنسم النسيم النقي ثم نعود . وضرب على الطاولة بعصاة كانت بيده فاتى الخادم فنقده ثمن المشروب ثم ودّعا الفتاة على قصد الرجوع وخرجا

ولما صارا بعيدين من القهوة وكانت الساعة الثانية بعد نصف الليل والناس في سكون وهدوّ فقال اسماعيل ما الطف هذا النسيم ايها الصديق فانه ينعش القلب ويوسع الصدر ثم تنهد ونظر الى حبيب متبسماً وقال

ايادارها بالخيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك اهوال

فقال حبيب الى متى وانت تخفي ما لا يسعه قلبك من الحب فاكشف لي شيئاً منه وكن على ثقة باني اكون لك من اول الانصار فايّ فتى لم يأخذ بفؤاده عامل الغرام وكم من المحبين لم ينصفهم الدهر بمن يحبون فقد نزلتَ على من احاط به من الحب ما اشغله عن كل واجب نحو كل العالم وقد هوَّره الى مابه التهلكة وربما الهلاك

فاستبشر اسماعيل من حديث صديقه وقال في نفسه ان الله لا يغفل عن القوم الفاجرين ونظر اليه وقال

كاني بك قد جزت ما اعترضك من العقبات اثناء هذا الحب الذي تكلمت عنه

— قد جزت والحمد لله اعظم ما كان يعترضني من العقبات واملي بالله ان يوفق اعمالنا الى النهاية فلا يعبث بقلبين قد ائتلفا على حب صادق متين

— ما لك لا تفصح عن هذه المعميات فكاني بحكايتك لا تقل غرابة عما انا به

— لا اظن ان محباً تجرأ على عمل ما عملته توصلاً الى من يحب فيالله من الحب كم يصور للانسان الاشياء على خلاف ما هي عليه وكم يسهل لديه المصعبات ويهون عليه ارتكاب الجرائم

— والله انك تشوقني الى استماع حكايتك الغريبة وتحملني على مكاشفتك بما يكنه الضمير من الحب وما يعترض هذا الحب من العقبات لعلك تستطيع ان تساعدني برأيك

— اذكر لي حكايتك وانا لا اخفي عنك شيئاً من امري

— فقط اشترط عليك ان لا تطلب معرفة الاشخاص فانا احكي لك الوقائع مجردة عن تعيين الاسماء والامكنة

— لا بأس وانا اشترط عليك الشرط نفسه

فلفق اسماعيل له حكاية مآلها انه كان يحب ابنة على قصد التزوج بها وهذه الابنة قد توفقت الى التزوج برجل غني رغما عن ارادتها وهذا التزوج لم يمنع المودة التي كانت بينهما وخصوصاً لان زوجها من ضعفاء البنية وقد مني بمرض السل وقطع الامل من حياته وامرأته قد وعدت اسماعيل بالتزوج بها انما الامر الذي اشغل بال اسماعيل وجعله في هذا الاضطراب هو ان لزوج الابنة اخاً مستولياً على جميع اشغال اخيه وكل امواله في قبضة يده فيخشى ان يكون عقبة شرّ في سبيل زواجه وان موته قبل اخيه يجعل حبيبته من الاغنياء لان ليس لزوجها وريث الا هو

فلما سمع حبيب حكاية اسماعيل قهقه ضاحكاً وقال له هذه كل التصعبات يا ما اجبنك الا تقدر ان تعبث بحياته فتكون غنياً

قال وكيف اعبث بحياته

— ضع له السم في الدسم

— وهل يخفى ذلك فاهرب من ويل لاقع في اعظم منه

— ومن يدري اذا استأجرت خادماً بمبلغ من النقود وقلت له ضع هذا فوق ما يأكله سيدك وانكر من اين اتى

— واذا اباح الخادم بذلك الا نقع في شر اعمالنا

— لا تكن جباناً * فلا بد دون الشهد من ابر النحل *

قال اسماعيل ولو فرضنا امكان ذلك فمن اين تأْتي بالسم والحكومة حظرت بيعه الا بامر الطبيب فضحك حبيب ضحكة المستهزئين وكان قد لعبت برأْسه ثورة الخمرة وخصوصاً بعد خروجهما من القهوة الى الهواء وقال اتكل عليَّ وانا اكفيك مؤُنة التعب بوجود صديقنا . ش . صاحب الاجزخانة ...

قال اسماعيل وهل يبيع كل من قصده بذلك

- يبيع اذا كان الطالب من اصدقائه وخصوصاً اذا كان صديقك حبيباً

- ومن اين علمت ذلك وهل اشتريت منه فالحكومة حظرت عليهم بيع هذه الاصناف الا باذن الطبيب ووضعت قصاصاً صارماً على من يخالف هذا الامر

- لا حول ولا ... كاني بك قد اخذت برأْسك عوامل الخمرة حتى تكلم عن غير قياس فانا عالم بمنع الحكومة وصرامة القصاص انما انا اجلب لك منه مقدار ما تشاء كما قد جلبت منه قبل الآن

- ولماذا جلبته

- ان لهذا حكاية طويلة لا محل لاستيفائهــا هنا وقد جلبته لاقتل به علوَّ حبيبتي الجميلة وضحك

- وقد بلغت امنيتك

- فزت والحمد لله وبعد قليل نستولي على نتيجة هذه الخيانة من الدرهم الرنان وقرب الحبيب

- يا للعجب كم تشبه قصتك قصتي . وكيف تمَّ لك ذلك من غير ان تدري الحكومة به

- دريت وقد قضى الامر فلا تسأَل عما فات

- كم اتشوّق لاستماع قصتك لعلي استفيد منها شيئاً يمهد لي سبيل الفوز
- استحلفك ان تبقي ذلك في سرك
- لحد الآن لم تذكر لي شيئاً يستحق ان تطلب اليّ ابقاءه في سرّي فكيف بي وقد ذكرت لك حديثاً كنت احب اخفاءه عن نفسي حتى لا اتوقع عقباه

فاطرق حبيب وكأنه انتبه الى نفسه وخشي نتيجة ما تكلمه فقال لاتحمل كلامي على محمل الجد فانا امزح معك

- كيفما كان الامر فانا نادم على تورطي في قصي عليك حكايتي وما حملني على ذلك الا لاني ظننت فيك ثقة بي وماذا يهمني منك ان ذكرت لي ذلك او لم تذكر
- لم اقصد تكديرك بكلامي ولم يصدر مني ما يكدرك
- انا متكدر من نفسي ولم اقصد ملامتك

لست الملوم انا الملوم لانني   انزلت آمالي بغير الخالق

- تأكد ايها الصديق وكن على ثقة تامة من نحوي واعلم انني اول نصير لك فيما تريد ولو كنت اتوهم على انك تظن بي سوءاً ما كنت تلفظت بمثل هذا الكلام فانا امتنُّ من ثقتك بي وامدح من صفاء قلبك واشكر الله الذي اوجد لي صديقاً مثلك لا اخشى ان اكشف له ما في قلبي فيخفف عني بعض ما بي من المكدرات والمصائب فثق بي وكن في طمأنينة من نحوي وانا اكشف لك قلبي وما فيه

ثم اخذه من يده وقال له هيا بنا لنقضي سهرتنا بما هو اهم من هذا

الحديث الناشف وذهب به الى ان دخلا محلاً فيه فتيات جميلات الصورة يتعاطين بيع المشروب فلما دخلا جلسا الى طاولة فاتت احداهن" وجلست امامهما وكلمتهما بالتليانية فاجابها حبيب بالعربية فجارتهما الحديث بالعربية ثم سألتهما عما يشربان فقالا « كنياك » فقالت وانا فقالا لها هاتي ما تريدين فذهبت هذه واتت بالمشروب وجلست اليهما

وكان اسماعيل بكل هذا يتظاهر بالانقباض وانشغال البال واذا جال حبيب معه بالكلام اظهر عدم اهتمامه لحديثه وبقي هكذا حتى لعبت برأس حبيب سورة الخمرة وصار يتكلم بلا روية . فلما وصل الى هذه الحالة اخذ اسماعيل يلاطفه ويجول معه كما يريد من الحديث ثم طلب اليه الذهاب فامتنع اولاً بدعوى تعلقه بالابنة

قال له اسماعيل نذهب ثم نعود لان عندي كلاماً اريد القاءه عليك

قال دع عنك الكلام والحديث فالبقاء هنا خير من كل حديث

فلما رأى اسماعيل منه هذا الاصرار نقد الى الفتاة ثمن المشروب فعارض حبيب بدعوى انه هو الذي يدفع فقال له اسماعيل افعل ما بدا لك ثم استوقف عربة واتى فتحايل عليه حتى اركبه بها وقال للسائق على شبرا ولما قربت العربة من بيت خالة الفريد قال اسماعيل ما اجمل هذا الشارع وما الطف السكن فيه

فوجه حبيب نظره الى البيت المذكور وتنهد ثم قال قل ما الطف سكانه فقد ضاقت بهن" الدنيا على رحبها حتى سكن" قلبي الحزين قال هذا ولم يحوّل بصره عن البيت المذكور ولما صارا على مسافة منه طلب الى السائق ان يعود

قال اسماعيل والى اين قال الى اوّل الشارع ثم نرجع لكي اتمتع بهذه المناظر الجميلة واشار الى بيت حبيبته

قال اسماعيل لا بأس اذا كنت تريد الرجوع فانا ارجع معك

– انا اريد ان ابقى هنا

فنظر اليه اسماعيل متبسماً وقال له علامَ هنا وليسَ هناك واشار الى الناحية المقابلة

– لأتمتع بقرب الحبيب قبل ان يداهمنا الرقيب وقهقه ضاحكاً

فلما تأكد اسماعيل انه يجتمع معها وانه هو الذي قد ابتاع السم وقد فهم من كلامه انه هو الجاني على ذلك المسكين اكتفى بذلك وخشي ان كثرة البحث معه بهذا الامر يجعل عنده ريبة فيه فتحبط كل مساعيه فسأله اين البيت وبقي عليه حتى عرفه فاشار الى السائق ان يذهب اليه ولما وصلاه انزل حبيباً هناك ثم ودعه وذهب الى بيتهِ

وفي صباح اليوم الثاني ذهب اسماعيل الى بيت حسيب واطلعه على كل ما علمه من اختلاطه بحبيب في الليلة الماضية فذكر له عن سيره واخلاقه وقد فهم منه انه يحب « ربة الفريد » وهو الذي جنى على ذلك المسكين انيس طمعاً في اهلاك الفريد وقد صورت له نفسه اهلاك زوجها ليتمّ له التزوج بها والاستيلاء على مالها وانه قد ابتاع السم من محل ... وهو يجتمع بها اجتماع محبة وقت غياب زوجها

فلما سمع حسيب حديثه مدحه واثنى عليه وقال له ان يواظب على ولائه حتى تقبض الحكومة عليه لئلا يظن به سوءاً فيتنبه الى الشراك المنصوب

له وحينئذٍ تحبط مساعيه . وبعد ذهاب اسماعيل توجه حسيب الى المحافظ واطلعه على الامر وكيف عرف حبيباً والمحل الذي قد ابتاع منه العلبة وانه يجتمع مع خالة الفريد اجتماعات سرّية على حين هو غريب عنها ولا معرفة له باهلها قط وذكر له كيف تأثر وردة عند ما اجتمعت واياه في البيت الذي في شبرا وان خطّه يشبه خط الورقتين المزوّرتين وقال له انه قد استعان باحد البوليس السرّي وحكى له حكاية اسماعيل معه وانه قد فهم منه عن المحل الذي قد اخذ منه السمّ وانه هو الذي قد جنى على ذلك المسكين طمعاً بزواج تلك المرأة المثرية والاستيلاء على مالها وان بعزمه ان يسعى في اهلاك زوجها وابنه ليخلو له الجوّ

﴾ استنطاق خادم حبيب ﴿

فاطرق المحافظ برهة ثم قال والبيت الذي اختلى فيه حبيب والمرأة يخص من

— لا اعلم لاني خشيت ان من مثل هذا السؤال يفضي الى انكشاف امري

— وهل تعرف الخادم الذي هناك اذا رأيته

— نعم

— وهل يمكنك الآن ان تستحضر هذا الخادم

— لا ارى صعوبة في ذلك لان سيده الآن في شغله فاذا سمحت لي سعادتكم فاذهب مع احد الشرط واستدل عن محل وجوده وآتي به حالاً

فامر المحافظ باحضار احد البوليس وقال لحسيب هلمّ وانا بانتظارك هنا

فخرج حسيب من عند المحافظ ثم ركب عربة وتوجه الى شبرا فلما وصل الى المكان المقصود نزل بنفسه واستقصى عن مكان الخادم حتى عثر به فقال له تعالى ولما وصل الى العربة اشار اليه بالركوب فامتنع اولاً لانه لم يعلم السبب

فقال له حسيب لا تخف فان ذهابك هذا سيعود بالفائدة عليك

- وانا ماذا فعلت

- لم تعمل مكدراً انما ارادة المحافظ قد سمحت باحضارك ولعله سمع عنك اخباراً سارّة ويريد ان يكافئك عليها

- لا . لا . . .

حينئذٍ نزل البوليس وارهبه بالكلام فخاف وركب وهو يظن انه ذاهب الى مقتله لانه من الذين قد تمرّ عليهم السنون وربما كل حياتهم ولا يعرفون من الحكومة الاّ السوط والسجن . وقد تغيرت سحنته وصار يرتعش من الخوف حتى وصلت العربة الى المحافظة فنزل البوليس وانزله وصار يهوّن عليه ويقول انما مجيئك الى هنا ليس الاّ ليسألك سعادة المحافظ عن اشياء في شبرا الكبيرة

كل هذا والخادم قد هدَّت قواه حتى مَثَلَ امام المحافظ وهو يضطرب من الخوف فسأله المحافظ عن شغله فقال اني خادم عند الخواجه حسيب . . .

- ومن هو الخواجه حسيب

- هو ياسعادة الباشا «من الخواجات التجار»

- واين محل شغله

- في الموسكي

- واين محل سكناه

— له بيت في مصر واخر في شبرا

— وانت اين مقرّك عنده

— في البيت الذي في شبرا

— ومن يسكن معه في البيت الذي في شبرا

— لا يسكن معه احدٌ وهو ليس دائماً في هذا البيت انما يأتيه في الاسبوع مرة او مرتين وقبل مجيئه يبعث الي خبراً فاكنس له البيت واحضر له ما يحتاجه فيه من شراء بعض اشياء من البلد يقول لي عنها فاذهب وآتيه بها

- وهل يمكث وحده في هذا البيت

- لا بل اكثر الاحيان تأتي معه « الست بتاعته » فيمكثان زهاء الساعة او الساعتين ثم يعودان

- ولما يعودان أيذهبان معاً

- لا · تذهب السيدة اولاً فتركب عربتها وبعد ذهابها بربع ساعة يذهب « الخواجه بعربته »

- وهل يأتيان في الليل او في النهار

- في متوسط الجمعة يأتيان عند الغروب ويبقيان زهاء ساعة او اكثر ثم يعودان وفي بعض ايام الآحاد يأتيان في الصباح ويبقيان حتى الظهيرة ثم يعودان · فقال الحافظ والبيت كم غرفة فيه

- فيه ياسعادة الباشا ثلاث غرف

- وهل فيه اثاث وكراسي

- لا انما فيه غرفة مفروشة وهذه الغرفة فيها مقعد وبساط وثلاثة كراسي

فقال له المحافظ والغرف الاخرى فارغة

— نعم يا سعادة الباشا

— ومفاتيح البيت معك او مع « الخواجه »

— مع الخواجه ولما يكون اتيا يبعثها لي مع احد خدمه ويقول لي اكنس البيت « واعمل الشيء الفلاني » فاكنس واحضر له ما يريد

— وانت الا تنام في بيت « الخواجه »

— لي « اوده في الحوش انام فيها »

— وهل من الممكن ان يأتي الخواجه الآن الى البيت

— لا لانه لا ياتي في النهار ابداً الاّ يوم الاحد

فنهض المحافظ من غرفته واشار الى حسيب فخرج الاثنان معاً الى خارجها ثم امر المحافظ احد الخدم ان يذهب حالاً ويأتيه بمن يصنع مفاتيح واقفال فذهب الخادم وما غاب حتى اتى ومعه حداد يحمل جملة مفاتيح فلما وصل اشار المحافظ الى خادم حبيب والى اثنين من الشرط وقال لهما اركبا عربة واركباه معكما هو وعامل الاقفال وتقدموا الى البيت الذي تكلمنا عنه

ثم ركب المحافظ هو وحسيب حتى وصلاه وهناك امر المحافظ عامل الاقفال ان يصنع مفاتيح الى كل ابواب البيت وبقي هناك حتى تم له ذلك

ثم اخذ الخادم جانباً وتهدده بقوله اذا وصلني ان احداً في العالم علم باننا اتينا البيت وصنعنا مفاتيح لا يكون جزاءك الاّ الموت لانه لم يعلم بذلك احد غيرك

فقال له الخادم « حاضر » يا سعادة الباشا

فقال له حينما يبعث لك الخواجه خبرًا انه آتٍ الى البيت تأتي حالاً وتعلمني بذلك من دون ان يعلم احد به وانا بعدئذ اكافئك بما تستحقه من الخير واذا لم تجرِ حسب الاوامر التي اعطيتك اياها لا يكون جزاءك الأ الموت

فخاف الخادم وقال «حاضر» يا سعادة الباشا

وبعد ان تمَّ كل ذلك . رجع المحافظ مع حسيب والشرطيين وصانع الاقفال ولم يدر احد بذلك نظرًا لبعد هذا البيت عن مساكن الناس

﴿ اطلاع ابرهيم على الامر ﴾

ولما رجع المحافظ وحسيب اتفقا على ان حسيبًا يعلم زوج المرأة بخيانتها حتى يكون استكشاف الامر بعلمه

وحينئذٍ توجه حسيب الى البيت وبعث يستعلم اذا كان ابراهيم والد الفريد قد اتى من سفره ام لا واذا كان لم يأت حتى الآن فاين مقرّه

فذهب الخادم وسأل احد الخدم ثم عاد واعلم حسيبًا على انه لا يزال مسافرًا وربما اليوم او غدًا يعود . واما مقره ففي ابعديته بجهة ... وذكر له اسمها

فنهض حسيب للحال . وكانت الساعة الثانية بعد الظهر فذهب الى المحطة وركب القطار العادي الى المكان الذي فيه ابرهيم ولما وصل استدل عليه حتى لقيه فاقتبله ابرهيم بكل اكرام وقال له لعلك اتيتنا بما به الفوز ان شاء الله

فقال وهو كذلك . فبرقت اسرتا ابرهيم ومال اليه ليستطلع الخبر

فقال حسيب هل بقاء حضرتك ضروري هنا

— لا . لم يأتِ بي الى هنا الاَّ كرهي المعيشة بعد حلول هذه المصائب فطلبت البعاد ليخلو لي الجوّ فاطلق لعواطفي مجراها واندب ولدي وتعاسة آخرتي

— معاذ الله ان يكون ما ذكرت فان الله سبحانه وتعالى اراد ذلك لينشر طهارة الفريد ويبرئ آخرتك من الدنس باذنه تعالى

فنظر اليه ابرهيم كمن ينتظر تفسيرًا لهذا القول

فقال حسيب ارجو من فضلك ان تسمح لي بتفصيل هذا الخبر بعد بضعة ايام لانني لم اصل الى النهاية منه والذي حملني على المجيء الى هنا وتنبيه حضرتك الى ما ذكرت هو لاطلب اليك ان تؤخر سفرك بضعة ايام واذا اردت ان تعود الى مصر يلزمك قبل ذلك ان تبعث خبرًا الى السيدة في البيت وتقول لها ان الاشغال قد منعتك من المجيء هذين اليومين وربما تتأخر اسبوعًا آخر ومتى وصلت مصر يجب ان تختفي عن كل انسان ريثما ينكشف الامر باذن الله

— لقد شغلت بالي يا حسيب . بربك افصح . وهل لأهل بيتي دخل في الامر

— ربما كان ذلك

— ماذا . ماذا . افصح .. بربك ... وكيف ذلك

— فقال لا تكدر نفسك ايها العم وتصبر ريثما نصل الى النهاية فقد فهمت الآن بعض الخبر واما التتمة فستطلع عليها بنفسك فترقرقت عينا ذلك الشيخ بالدموع وقال ما اشقى آخرتي . مسكين يا ألفريد .. يا ولدي

— فقال له حسيب تصبر فعسى ان تفرج عنك كل هذه الكروب قريبًا فان الله رفوق عادل . ثم قال له وهل ترغب في العودة الى مصر

— لا بأس في ذلك

— فاذا اردت فاكتب الى السيدة انك ستتأخر هنا

— وماذا اكتب

— اكتب « ان اشغالاً ضرورية منعتني عن الذهاب هذين اليومين وربما اتأخر اسبوعاً آخراً فلا ينشغل بالك » . فكتب ابراهيم كما رسم له حسيب ثم استنظرا ميعاد سفر القطار وتوجها معاً وقبل وصولهما اتفقا على ان ينزلا في المحطة التي قبل محطة مصر لئلاَّ يعلم احدٌ بمجيء ابراهيم ولما نزلا هناك ركبا عربة وقالا للسائق الى العباسية في مصر ولما وصلاها مرَّا في طريقهما ببيت المحافظ فسأل حسيب احد خدمه اذا كان موجوداً في البيت

— فقال له . نعم

فدفع اليه تذكرة باسمه . فاخذها الخادم الى المحافظ ولما عاد قال له تفضل فنزل من العربة وتوجه اليه ولما قابله سأله عما عنده فحكى له امر ابراهيم وكيف انه اتى الى مصر وسيبقى متخفياً ريثما ينكشف الامر

— واين سيتخفى فربما كشف امره قبل انكشاف الامر فتحبط كل مساعينا

— ان في النية ان ينزل في بعض النزل

— لا اوافقك على ذلك واخشى ان يدري احد به فهل يريد ان يبقى عندي ريثما تجد له مكاناً موافقاً في هذه النواحي

— اذا امرتم سعادتكم ادعيه ليتشرف بمعرفتكم

— فليتفضل

فنزل حسيب وقال لابراهيم ما دار بينه وبين المحافظ وطلب اليه ان

يأتي معه ليعرفه به

فاجابه ابراهيم الى ما اراد ودخل الاثنان معاً على المحافظ فاكرمهما وقال لابراهيم اری ان تبقى عندي ريثما يجد لك حسيب افندي مكاناً بعيداً من نواحي بيتك

فشكره ابراهيم وامتثل امره

ثم استأذنهما حسيب بالذهاب وكانت الساعة التاسعة مساء ثم قال للمحافظ انا في صباح الغد ارى ما يجدّ واتشرف باعلام حضرتكم

﴿ حديث بين محبين ﴾

ففي صباح اليوم الثاني كان حسيب قد لبس ثيابه وهمّ بالذهاب فاذا بالمراقب اتاه وهو يقول ان السيدة قد اشارت الى السائق ان يحضر لها العربة

فقال حسيب وهل تعلم الى اين هي مزمعة

— لا اعلم

فاطرق حسيب برهة ثم قال له اذهب واكتري لك عربة واتبع اثرها ثم اخذ من جيبه شيئاً من النقود ودفعها له فاخذها واجرى ما امره به سيده فاكترى عربة وانتظر ريثما مشت عربتها فاتبع اثرها حتى انتهى بها السير الى شارع الموسكي فوقفت عربتها قرب محل تجاري فاوقف المراقب عربته على مسافة منها خشية ان تظن به شراً ثم دفع الاجرة الى السائق ودخل المكان الذي دخلته فاذا بها توجهت تواً الى المحل الواقف فيه حسيب فلما رآها تهلل وجهه واقتبلها ببشاشة واكرام ثم قدم لها كرسياً فجلست فقرد لها شيئاً من

الاطالس ليموّه على الناظرين انها من الشاريات وبدأ معها بالحديث

اما المراقب فوقف بالقرب منهما وتشاغل بشراء شيء كان بالمكان القريب منهما لعله يسمع حديثهما فاذا بها تقول له قد تأخر زوجي عن المجيء في هذا اليوم لانه قال لي بكتاب ارسله امس ان اشغالاً اعاقته عن المجيء وربما يتأخر لا اقل من اسبوع فيمكننا ان نجتمع وقتاً طويلاً للنظر في الامر وما انتهت اليه ابحاث الحكومة

فقال وهل كتابته لك يشتم منها رائحة الكدر ثم خفض صوته فاقترب المراقب منهما فامتنع حبيب عن الكلام فتلاهى المراقب بمثل (عاينات) اقمشة كانت بيده وتظاهر بعدم انتباهه الى حديثهما واطال مكوثه بقربهما بدعوى ان النور في ذلك المكان اكثر مما في غيره بما يتيح له ان ينقد المثُل

فلما رآه حبيب على هذه الحال لم يبال به فكمل حديثه وقال بعد ان قرب منها وتكلم بصوت اكثر انخفاضاً من قبل هل يمكننا في هذا النهار ان نجتمع باكراً ليكون عندنا وقت كافٍ نتكلم به ملياً فقد اشغل بالي امر الرجل الذي قد اتى حديثاً من بيروت وارغب كثيراً في ان اراه . فماذا عمل يا ترى

قالت له حينما يزورنا كنت اسأله عما فعل فيقول لي . لا اعلم . كيف ان هذه المسألة مجهولة من جميع اطرافها . فخشي المراقب ان مكوثه اكثر من ذلك يجعل عندهما مظنة به فابتعد عنهما وطلب الى المستخدم الذي اراه مثل القماش ان يريه سواها وفيما هو على هذه الحال كان مسيخاً سمعه اليهما فكملت كلامها وهي واجسة ان يكون احد سامعاً حديثها فالتفتت الى ما وراءها ثم قالت

ولكنني اراه لا يفلح بما اتى من اجله فالمسألة قد صارت بمخبر كان وقد قال لي ان . وخفضت صوتها حتى كاد لا يسمع مخار المراقب بامره ولكنه سمع الفاظاً متقطعة وهي . . الفريد . . . اليأس . . . الانتحار . . . فصرت ابكي . . . ولم يدر . ان . . وراء الاكمة ما وراءها . اما الآن . واعادت التفاتها خشية الرقيب وكأنه قد تغير لونها وقالت بصوت منخفض كالاول فهم منه المراقب . . ان ساكون . . . الخامسة مساء

قال وانا كذلك ان شاء الله ثم ودعته وذهبت

اما المراقب فانتظرها حتى ذهبت واخترع عذراً للبائع الذي كان واقفاً امامه وذهب فاتبع اثرها فاذا بها عادت الى البيت وكانت الساعة قد بلغت نصفاً بعد العاشرة

فلما وصل المراقب توجه توًّا الى حسيب وكان ينتظره على مثل الجمر فحكى له عن كلما سمعه من حديثهما فلما وعى حسيب كلامه هم حالاً وركب عربة الى المحافظة وطلب الدخول على المحافظ ولما صار امامه قص عليه الامر

فقال المحافظ يلزمنا الآن ان نبعث واحداً الى خادم حبيب ونستفهم منه اذا كان حبيب قد ذكر له عن مجيئه واي متى يكون هناك لان الوقت قصير ويخشى ان الخادم لا يقدر ان يأتي ويعلمنا قبل مجيئهما

ثم امر المحافظ فاستحضر معاون قراقول الازبكية وحكى له الامر وقال له ان يسرع بالمجيء حذراً من ان يشتبه احد به وان يستطلع افكار الخادم اذا كان عنده شيء من الخيانة

فاشار المعاون بالسمع والطاعة وذهب توًّا حتى وصل المحل المعين وهناك

شاهد الخادم واقفاً مع رجلٍ آخر يظهر من لبسه انه خادم مثله وبعد وقوفهما ربع ساعة من الزمن ذهب الرجل وبقي الخادم فتقدم اليه رسول المحافظ وكلمه مع المحاذرة لئلاّ يكون عنده شيء من الخيانة

فقال له ان الخادم الذي رأيته واقفاً معي هو آتٍ من عندهما ويقول انهما يكونان هنا حوالي الساعة الخامسة

— وهل انت مثابر على ما اوصاك به سعادة الباشا فانك اذا لم تمشِ حسب امره لا يكون جزاؤك الا الموت وقد سمعته اليوم يقول انك اذا سرت حسبما اشار اليك سيجازيك جزاء حسناً واما اذا خالفت امره فالله يعلم ما ينتهي اليه امرك

— « ما يصحش بقى يكون الباشا قال واحنا نخالف امره »

— « اديك عرفت بقى شوف شغلك »

— « حاضر قول لسعادة الباشا هو ماش حسب ما امرت سعادتكم »

ثم تركه المعاون وذهب الى المحافظ فقص عليه الامر

فقال له المحافظ اذهب انت وخذ معك كاتباً وبعض الشهود لضبط هذه الواقعة

فقال له سمعاً وطاعة ثم اتفق المعاون مع حسيب على ان يتقابلا عند الساعة الثانية بعد الظهر ولما التقيا كان بمعية حسيب والد الفريد وكان المعاون قد استحضر كاتباً وبوليسين وواحداً سرّياً فركب المعاون مع حسيب وابرهيم عربة مقفلة ومثل ذلك البوليس والكاتب وقبل ان يصلوا الى المحل المعهود بعثوا البوليس السرّي ليستجس لهم الاخبار فاتى وهو يقول لا يوجد هناك احدهما

وجوده ولما وصلوا اشار المعاون الى السائق ان يبعد عن ذلك المكان حتى لا يمكن للواقف فيه ان يرى العربتين خوفاً من ايقاع شبهة بهم

ولما وقفت العربتان نزل جميعهم ومشوا من طريق غير الطريق المطروق حتى انتهى بهم السير الى البيت وهناك كان الخادم واقفاً بانتظارهم فلما رأى المعاون اسرع اليه ليعلمه انه امين على ما كلف به فقال له المعاون امش امامنا الى البيت ولما وصلوا الباب تقدم المعاون وفتحه ولما دخلوا راوا غرفة مفروشة وهي التي يجتمعان بها كما ذكرنا وامام تلك الغرفة المفروشة غرفة اخرى فارغة وهذه الغرفة لها باب مقفل يطل على الغرفة المفروشة فلما دخلوا قالوا للخادم ان ياتيهم بما يجلسون عليه ولا يكون من البيت فاتاهم بالمقعد الذي كان ينام عليه وكرسيين مكسرين ثم قال له المعاون اخرج وقف كعادتك بعد ان تقفل الباب واذا اتيا لا تدع احداً يعلم بوجودنا هنا

قال « حاضر » وخرج

اما المعاون ورفاقه فدخلوا الغرفة بعد ان اقفلوا بابها ورتبوا مقعدهم فيها حتى اذا داهمهم مجيء المحبين يلزمان السكينة

التجسس

قضى الله ان البغي يصرع اهله   وان على الباغي تدور الدوائر

وبعد ذلك بنصف ساعة فتح البـاب ودخلت منه السيدة وهي مطرقة بالارض كانها بشاغل عظيم فلما صارت في الغرفة المفروشة جلست الى المتكاء الذي هناك واستلقت راسها بيدها ثم نادت الخادم فلما حضر قالت له الم يعت

(الخواجه) خبرًا انه آتٍ الى هنا

– أيوَهْ اجى لي في الصبح حسن الخدام بتاعه وقال لي الخواجه يجي الساعه خمسة افرنجي بعد الظهر حتى احضّر له الاودة واكنس البيت حتى لما يجي يلقا كل حاجه حاضره

ثم قالت له أعندك شربة ماء

قال « حاضر » وذهب واتاها بها وبعد قليل طرق الباب وكان الاتي حبيب فقامت هي بنفسها واقتبلته باكرام ودخلت معه الى الغرفة

وفي اثناء ذلك قام المعاون وقرّب كرسيه من الباب الموصل بين الغرفتين وكان فيه ثقب القفل بحالة يقدر بها المعاون ان يرى من في الغرفة الثانية ولا يشعرا بهِ لان الغرفة التي هو فيها مظلمة وتلك منيرة فجلس المعاون على الكرسي وجعل نظره على ثقب القفل بحيث يرى ويسمع ولا يُرى

وباثناء دخولهما كانت وردة تقول له لو كان عندك بعض ما عندي من الحب لما تأخرت عليَّ حتى الان فانت رجل ولا تخشى رقيباً وقد تأخرت هكذا فكيف بي وانا امرأة بحالة تجعلني اخاف من السيم لئلا يكون رقيباً عليَّ وقد وصلت قبل مجيئك بنصف ساعه

فقال لها اعذريني وتاكدي ان تأخري هذه البرهة اليسيرة ليس الا لشاغل ضروريٍ وكيف كانت الحال فيحق لك ان تعتبي عليَّ تمثلاً بقول الشاعر

* عرف الحبيب مقامه فتدللا *

ثم جلسا الى المتكإ والواحد الى جانب الآخر فبدأ حبيب في الحديث بقوله هاتي لنا ما تمَّ لك مع زوجك

— كنت ذكرت لك في المرة الفائتة اني لم استطع ان افاتحه بامر من الامور نظرًا لما هو مستولٍ عليه من الكدر وتراه دائمًا يذكر ولده الفريد ويبكيه وهو يقول ما هذه اللطمة التي اتتني على غير انتظار وكلما سعيت الى تهدئة باله كلما زاد اضطرابًا وكأني به قد استولى عليه الخرف فهو يتكلم معي عن غير تعقل

— قد دنا اجله فلا اظنهُ يحوجنا الى ما احوجنا اليه ولده من ارتكاب المحرمات ولكن ماذا بلغك في هذه المدة الاخيرة من سعي الحكومة وهل سكت اهل انيس عن الامر اوهم لا يزالون كما كانوا قبلاً من السعي والتهديد

— سمعت ان واحدًا منهم اخذ العلبة التي كانت الحلواء فيها وذهب الى البلد ليرى اذا كان يجد مثلها ويستدل بهذه الواسطة عمن اشتراها

فاضطربت جوارحهُ وخفق قلبهُ ولكنهُ تجلد وقال صحيح . صحيح وكيف انتهى الامر

— لحد اليوم لم اسمع شيئًا ومن اين اشتريتها انت

— اشتريتها من عند . . وحينما اشتريتها منه لم يكن عنده من شكلها الاَّ واحدة فقط غير التي اشتريتها ولا اظنها باقية حتى الآن فانت قد نبهتني الى هذا الامر حتى اذهب في الغد الى ذلك المحل وارى اذا كانت تلك العلبة لا تزال موجودة فابتاعها وارفع الشك من بالي وقد اخبرتني في المرة الفائتة انه قد اتى محام من بيروت للنظر في هذه المسألة وقد اجتهدت ان اعرفه فلم تساعدني الاحوال على ذلك فماذا عمل يا ترى

فقهقهت وردة ونظرت اليه وهي تقول مسكين وصارت كلما فاهت بكلمة تضحك ضحكة الاستهزاء وتقول ما ابلهُ فياليته ما اتى لانه سيرجع بخفي حنين وقد اجتمعت به كثيراً لانه اكثر الايام يزورنا في البيت وكنت اسأله كتلهفة لمعرفة الامر فاقول له ماذا عملت لعلك استفدت شيئاً فيقول يا للعجب كيف ان كل ابواب الفرج قد سدّت بوجهي . كم هذه المسألة صعبة . لا اعلم من اين الجها

فاقول له مسكين الفريد واتظاهر بالتعجب والغيظ والبكاء فيخفف عني وهو يقول وماذا ينفع البكاء والغيظ . فعلينا ان نعتصم بحبل الصبر الجميل ثم اقول له أما كتب لك الفريد قط فيقول كتب اليّ لما كنت في بيروت وقد قال لي ان الكدر قد وصل به الى درجة اليأس وانه عازم ... وترقرقت عيناه بالدموع فقلت له يا الهي . ماذا . ماذا (وضحكت فضحك حبيب وهو يقول حقق الله امانيهُ) فيجاوبني بقوله اخاف ان يكون اليأس قد وصل به الى درجة الانتحار فيجب علينا ان نسعى الى خلاصه ثم يسكت وهو يقول ان الذي يعلمه الله لا يعلمه انسان

فقال حبيب خلاصة الامر ان المسألة قد صارت في خبر كان . والحكومة قد سكتت عنها مدة . واهل انيس مساكين لا يقدرون على النفقات وقد يئسوا من الفوز بفقد الفريد وانا ارى ان الفريد لا بد ان يكون عبث بحياته لانه قد مرَّ على الحكومة زهاء شهر ونصف وهي تفتش عنه وحتى الآن لم تقف له على اثر وهو لم يكتب الى والده قط فلو كان في قيد الحياة لكان على الاقل يكتب الى والده ويطلب اليه ان يبعث اليه نقوداً لانه مهما كان عنده من النقود لا بد ان تكون قد نفدت

فقالت له وهو كذلك وترى والده قد وصل الى درجة اليأس لا يلذ له أكل ولا يطيب له منام بل هو دائماً مشتت الافكار لا حديث له الا الفريد ولا شغل له الا ذكره ولكن كل آتٍ قريب « لا بد ان تتبع الحبل بالدلو » ثم نادى حبيب الخادم ولما حضر قال له هات زجاجة الكنياك

اما والد الفريد فكاد في اثناء حديثهما يغيب عن الصواب وهو يبكي ويندب ولده وتعاسة آخرته حتى كاد ينكشف امره

اما المعاون فانتظر حبيباً حتى نادى الخادم وفتح الباب فجأة ودخل فدخل معه كل من في الغرفة وكانوا بملابسهم العسكرية

فلما نظر حبيب ووردة ذلك هلع قلباهما وبهتا في مكانهما وهما بين الحياة والموت ولم يدريا بما يجيبان عن نفسيهما وقد كشف الامر وظهرت الخيانه

فقال لهما المعاون امكثا مكانكما ثم اخذ كرسياً وجلس واشار الى حبيب والكاتب فجلسا. اما ابرهيم فلم ينتقل من الغرفة التي كان بها لما الم به من الكدر وقد خجل من الناس الذين كانوا معه وصارت الدنيا في عينيه ظلاماً

اما المعاون فبعد ان جلس هو وحبيب والكاتب اشار الى الكاتب ان يكتب محضر ضبط تلك الواقعه فكتب

﴿ محضر ضبط واقعة ﴾

انه في يوم الاربعاء من شهر مارس سنة – ١٨٨ الساعة السابعة مساء حضرت انا معاون قراقول قسم الازبكية بناء على الامر الصادر لي من سعادة محافظ القاهرة في ذلك التاريخ وكان بمعيتي حبيب افندي ... وابراهيم

افندي ... والكاتب ... وبوليسان وواحد سرّي الى المنزل الكائن بجهة شبرا التابع لقسم الازبكية ملك الخواجه ... وبحضورنا مكثنا في غرفة من ذلك المنزل مجاورة للغرفة التي كان فيها الآتي ذكرهما وقد سمعنا منهما كلاماً يخوّل لنا الحق بالقبض عليهما واستجوبناهما فكان جوابهما كما يأتي

استجواب حبيب ...

س سأل المعاون حبيباً فقال له ما اسمك ولقبك

ج حبيب ...

س ما هي صناعتك

ج مستخدم تجاري

س اين مولود

ج في ....

س اين اقامتك

ج القاهرة

س كم عمرك

ج ثماني وعشرون سنة

س ماذا تعلم من امر قتل انيس

ج لا اعلم شيئاً

س لا تخفي عنا شيئاً قد سمعنا حديثك من بدايته الى نهايته

اما وردة فكانت من حين مفاجأتهما ساترة وجهها بيديها وهي مطرقة بالارض تكاد تموت من الخجل والاضطراب خصوصاً حينما وصل المعاون الى هنا

السؤال ولم تستطع ان تحوّل نظرها الى حسيب او تميل بوجهها الى الناحية التي كان فيها ولعل ذلك لانها كانت تشتمه على مسمع منه وتسبه الى البلادة والضعف ولم تدر بما هو مخبأ لها في الغيب

اما حبيب فاجاب وكان صوته يتجلجل · ما تكلمت ··· ماذا أتكلم

فقال له المعاون الاليق بك ان تعيد ما تكلمت به مع السيدة الآن فقد سمعنا مجمل حديثك واذا لم تذكر الحقيقة فلا حاجة بنا الى استجوابك وقد سمعنا منك ما هو كافٍ لاثبات التهمة عليك

فاجاب وهو يرتعش · وانا ما ذا عملت

س ألست انت جالب العلبة التي كان بها السم وصانع الحلوى ومزور الورقتين وقاتل ذلك المسكين انيس وشارعاً بهلاك الفريد ووالده ضحية شهواتك الدنيئة

ج انا ما عملت شيئاً بارادتي وانما « واشار الى وردة وقال » هي كلفتني ان اجيء لها بحلوى سامة واعطتني الورقتين فكتبتهما لها فالتفتت وردة اليه وقالت له اخسأ ·· أأنا التي قد اغريتك · اما انت هورتني بشرك الى العبث بحياة ··· واخذت في البكاء ثم قالت اما انت الذي قد فعلت بعقلي مثل عدوّ بني البشر حتى اوصلتني الى ما انا عليه

فقال المعاون لحسيب اوضح اذاً لنرى الحق على من والتفت الى الكاتب فاذا به مكبٌ على الكتابة بكل اعتناء

فقال حبيب ليس لي يد في الامر وهي التي اغرتني على كتابة الورقتين وعمل الحلوى

س وهل السيدة قرينة لك

ج لا ·

س وكيف عرفتها

ج كانت تتردد الى محل شغلي فتعرفت عليها وقد أُخذت ببهرجات حديثها وجمالها حتى اتصل بنا الامر الى ان اغرتني على التزوج بها · « فقالت تلك وافضيحتاه ما هذا الرجل الشرير كيف يتجاسر على التلفظ بمثل هذا الحديث الشنيع » وهل انا ذكرت لك مثل هذا ايها الرجل الخائن

اما قلت لي انك تتزوجين بي بعد العبث بحياة زوجك وابنه حتى يتم لك الاستيلاء على ميراثه

فقالت يا الله كيف يختلق الكلام هذا الرجل · وهل انا المرأة الضعيفة استطيع مثل هذا الامر الفظيع اما انت ايها الرجل الخائن قد اغريتني حتى هتكت ستري وحملتني على العبث بحياة رجل مسكين قضى اكثر حياته في خدمة مصالحنا ولا تزال حتى الآن وقد سمع حديثك حضرة المعاون وعرف منه ما تنويه من النوايا الخبيثة

اما ابراهيم فضاق صدره وجاء من الغرفة رغماً عنه وقال تباً لك ايتها المرأة الشريرة · وانت ايها الرجل الخائن ثم اصابه اغماء فقام حسيب واخرجه من الغرفة وشرع في انعاشه واما وردة فلما رأت زوجها اخذتها الجدة وقالت يا الهي ما هذا القصاص الفظيع ووقفت بالرغم عنها وقالت والدمع ملء اعينها · اني احس بعظم الجناية التي ارتكبتها امام هذا الرجل الشيخ الجليل الذي لم يعاملني بشيء من القسوة · انا التي قد أُخذت ببهرجات حديث هذا الشاب

الجاهل «واشارت الى حبيب» حتى حملني على هذه الخيانة الفظيعة

فلما رأى المعاون ما حصل لابرهيم من الانفعال خشي ان كثرة السوءالات تفضي الى ما لا تحمد عقباه فاشار الى الشرط ان ياخذوا حبيباً ووردة تحت الحفظ الى قراقول الازبكية »

ثم اقفل الكاتب المحضر وكانت الساعة الثامنة مساء

وفي صباح اليوم الثاني اعلنت المحافظة في كل جهات القطر المصري براءة ساحة الفريد حتى اذا كان قد القي القبض عليه فليفرج عنه · لندع وردة وحبيبها في السجن ونذهب الى مكان الفريد ونزهة حيثما كانا يقاسيان من العذاب الواناً

﴿ الفريد ونزهة ﴾

بقي الفريد ونزهة في الباخرة حتى وصلت بهما الى ميناء الاستانة فنزلا هناك ومكثا في نزل لرجل يعرف اللغة العربية وبعد مكوثهما في هذا النزل زهاء عشرة ايام اتاهما شرطي وقال للفريد تفضل الى المحافظة

فاجابه الفريد مستفهماً عما يقول بالافرنسية فاعاد كلامه الشرطي ايضاً بالافرنسية · فقال له الفريد ومن يطلب احضاري

— رئيس البوليس

— وماذا يريد مني

— لا ادري ولكني مأمور بالاتيان بك حالاً الى المحافظ فتفضل

فلم يستطع الفريد الا مطاوعة الشرطي فذهب معه وذهبت معهما نزهة لانها خشيت على الفريد ان يكون قد كشف امره ولما صاروا عند رئيس

البوليس قال له بالتركية الست انت الفريد

فاجابه بالافرنسية انه لا يفهم اللغة التركية

فكلمه بالعربية

فتظاهر ايضاً بجهله اللغة العربية

فقال له لقد سمعتك في الامس تتكلم فيها فكيف بك اليوم وقد نسيتها

تخطر في بال الفريد ان البوليس السرّي المتوزع في جميع انحاء البلاد ربما يكون قد سمعه يتكلم مع نزهة . فقال اتكلم بها قليلاً وقد ظهر التلبك في جوابه

فاعاد الرئيس قوله وسأله اليس اسمك الفريد

فقال وكاد يمتنع عليه الكلام لانه لم يعتد الكذب والرياء انا اسمي جان

فاشار رئيس البوليس بطلب صورة كانت عنده ولما صارت بيده اخذ يتأملها وقابلها على هيئته فاذا بها تشبهه كل الشبه

وكان يظهر من لهجة حديثه في العربية انه يتصنع بها وليس لهجة غريب عن اللغة فما انفك رئيس البوليس يسأله عن بلاده وتبعته ثم طلب اليه ان يريه الصك المؤذن بتابعيتهِ فظهرت حاله وانكشف امره فوضعوه تحت الحفظ

اما نزهة فلما بلغها الخبر كادت تغيب عن الصواب واستأذنت بالدخول فمنعوها في اول الامر وانما اجازوا لها بعد ذلك لما علموا انها غريبة عن الديار ولم تأت الا مراعاة لالفريد فلما قابلته امتلأت عيناها دموعاً

فقال لها لا تخافي ففي الغد نسافر الى مصر وهناك نسأل الله الفرج فاعتصمي بالصبر الجميل واذهبي الى محلنا من النزل وفي الغد يقضي الله بما يشاء

من يقدر ان يصف حالة هذين العاشقين اللذين لم يقصهما الدهر وقد وصلا الى هذه الحالة من الاهانة واليأس فالفريد بقي يومه باجمعه ولم يذق الكرى وهو عرضة لليأس والانتحار وانما الذي كان يصده عن ذلك تذكره نزهة والحالة التي هي بها في بلاد لا تعرف فيها سواه

واما هي فذهبت الى النزل وقضت كامل يومها في البكاء والنحيب حتى كان صباح اليوم الثاني فبعثت الحكومة الفريد الى الباخرة تحت الحفظ

فذهبت نزهة واخذت تذكرة بالسفر الى مصر ولما صارت في الباخرة كانت سحابة نهارها وليلها تحوم على الفريد وتخفف عنه خوفاً عليه وهي تعزيه وتؤمله بقرب الفوز وهو يتظاهر بخلاف ما في قلبه مراعاة لمخاوف حبيبته وداما على هذه الحال حتى وصلت الباخرة الى مينا الاسكندرية فانزل الخفراء الفريد تحت الحفظ حتى وصلوا به الى المحافظة وكانت نزهة برفقته وقد بعثت واحداً يستدعي اباها فلما وصلوا بالفريد الى المحافظة قدموه الى رئيس البوليس فنظر اليه متبسماً وقال للخفراء ان يبتعدوا عنه ثم قال له اهنيك ببراءتك

فبرقت اسرة الفريد ونظر اليه مستفهماً فقال له قد اتصلت الحكومة في مصر الى كشف هذه الخيانة بمساعدة المحامي الماهر حسيب فامتلأت عينا نزهة بدموع المحبة وقالت لالفريد من هو حسيب فقال لها هو احد اصحابي من بيروت وهذا الذي قد ذكرت لك انني بعثت اليه بسيرة حياتي وما دهاني

ثم ودعا رئيس البوليس وهما بالذهاب الى بيت ابي نزهة فاذا به قد وافاهما في دائرة البوليس فلما وقع نظره عليهما مال اليهما وعيناه مملوءتان بدموع الفرح فقبلهما وهنأهما بسلامة الوصول ثم لامهما على هذا السفر وخصوصاً نزهة.

فاعتذرا عن نفسيهما بما حضرهما من الكلام ولا تسأل عن ساعة اللقاء ثم ذهبا الى البيت واخذا يسألانه عن حسيب فشرح لهما ماعرفه عنه وكيف اتى وماذا عمل حتى وصل في حديثه الى خالة الفريد وعشيقها وكيف هما تحت الحفظ وان المحاكمة ستكون بعد خمسة ايام

﴾ اللقاء في مصر ﴿

كل امرءٍ حاصداً يوماً لما زرعه　　وكل شخص يجازى بالذي صنعه

وفي اليوم الثاني توجه الى مصر فقابل والده في البيت لان التأثير الذي اصابه يوم ضبط الواقعة اثر على جسمه حتي جعله طريح الفراش فلما رآه ابوه همَّ بتقبيله والدمع ملء عينيه وهو يقول · اغفر لي يا ولدي فكم جلبت لك من تعاسة المعيشة مع هذه الام الثانية ولكن لا مردَّ لما فات فاحمد الله على السلامة لا اراني بك سوءًا · قاتل الله الاشرار

فقال الفريد لا تكدر يا والدي واشكر الله لان مصيبتنا لم تكن اعظم من هذه · مسكين · انيس · وا اسفاه عليه · ما ذا تكون حالة اهله · تبًا للقوم الاشرار · قبحاً للاميال الكاذبة · واذ هما على هذه الحال دخل حسيب وكان لم يعلم بمجيء الفريد لانه لما وصل الى الاسكندرية وعلم بالامر بعث خبراً لمصر لانه اراد ان يفاجئهم بوصوله خوفاً من الهرج والمرج حين لقياه وكثرة السؤالات عليه فلما دخل حسيب عليهما لم يعرف الفريد لخلوّ ذهنه من مجيئه ولانه قد مرَّ عليه زهاء ثمان سنين لم يرهُ فيها

اما ابراهيم فلما رأى حسيباً قال لولده هذا هو الشهم المفضال الذي نجاك من هذه التهلكة

فالتفت الفريد ولما نظره التقى بنفسه اليه فقبله مراراً وكذلك حسيب وشكره على صنيعه وقال له بمثلك تفتخر الفضيلة ويتم الوفاء يا اعز الاصدقاء واخلصهم حباً واكثرهم مروءة فدم عزيزاً ايها الحبيب وليفتخر بصداقتك الفريد

فقال حسيب لا حاجة بنا الى مثل هذه التجملات فانت انا وما سعيت فيه لخلاصك فقد سعيت فيه لنفسي فهات لنا عن سفرك وماذا تم لك ومن اين وصلتك اخبارنا

فقص عليه الفريد حكايته من اولها الى الساعة التي هو فيها فهنأه حسيب بسلامته ومثل ذلك والده ثم ذكرا له ما كان من امر حبيب وكيف قدرت الحكومة ان تتصل الى كشف خباياه الخبيثة وكيف قبضت الحكومة عليه هو وروابته فلما سمع ذلك والده اخذ بالبكاء وقال عفواً يا ولدي فكم جلبت لك من التعاسة وامتنع عليه الكلام لعظم اضطرابه فهون عليه الفريد وقال له لا تأسفن على ما فات يا ابتاه واشكر الله على ما انتهت اليه حالتنا ثم سأل الفريد حسيباً عن اهله فطمأنه عنهم واخذوا يتنقلون من حديث الى آخر الى ان اتصلوا بابحاثهم الى كيفية المحاكمة التي سيصدر بها الحكم على المتهمين فاقروا على ان والد الفريد يحث ويطلب الى الحكومة ان تجعل الجلسة التي سيصدر بها الحكم على المتهمين شبيهة بالسرية اي ان لا يباح فيها حضور احد من الغرباء صوناً لعرضه وخوفاً من تحدث الناس فيها

وهكذا كان فقد عينت الحكومة يوماً للمحاكمة ولم تعلن ذلك رسمياً ولا اباحت لاحد الحضور غير اشخاص الدعوى وقد انكر حسيب ووردة في تلك الجلسة ما اقرّا به من قبل واقاما مدافعين عنهما فحكمت عليهما الجلسة بعد

مراقصات طويلة بالرومان المؤيد ثم تقدم الجميع الى الفريد فهنأوه ببراءة ساحته وكان هناك احد اهل انيس ٠٠: فتقدم الى الفريد وهنأه وبكى فاظهر له الفريد عظم تأسفه وكدره على انيس وطيب خاطره واخذه معه الى البيت وهناك كتب ورقة بمبلغ من المال تسلم الى والدة ذلك المسكين فتشكر فضله ودعا بسلامته

ولما تم لالفريد ذلك ذهب فتفقد اشغاله وقال لوالده بالسفر الى بيروت لان هذه الحوادث التي حصلت لهم في مصر مما يؤثر عليهم تذكرها اما والده فقال له افعل ما بدا لك

وفي الحال اقام سماسرة يسعون في بيع عقاراتهم وطلب الى والده السفر الى الاسكندرية لعقد الاكليل وقال له بعد ذلك نعود نحن وحسيب فننجز كل اشغالنا ونذهب جميعاً الى بيروت

اما حسيب فلما تم له براءة الفريد وصدر الحكم بذلك بعث حالاً بالرسائل البرقية الى بيروت ليبشر اهله واهل الفريد بذلك ووعدهم بقرب مجيء الجميع .

﴿ العرس ﴾

ثم سافر الفريد ووالده وحسيب الى الاسكندرية ولا تسأل عن ساعة الاجتماع وخصوصاً مقابلة المحبين بعد ما طرأ عليهما من تلك المخاوف التي كادت ان تذهب بهما ضحية غايات الاشرار فكانا جالسين وعيون جميع الحاضرين تحوّم عليهما وتغبطهما على هذه المحبة الصادقة الشريفة وبعد مكوث الفريد في الاسكندرية يوماً واحداً طلب الى ابي حبيبته الاسراع في عقد الاكليل وانبأه بعزمه على السفر الى بيروت مع اهل بيته وطلب اليه ان يسافر

معه فلم يخالفه وقال له افعل ما بدا لك

فقال الفريد ان الذي اراه هو ان نصنع هنا عرساً بسيطاً خالياً من الدعوات والاحتفال ومتى توجهنا الى بيروت نصنع هناك عرساً ثانياً بين الاهل والمحبين

فقال له . لك ما تريد واتفقا على ان يكون العرس بعد يومين وهكذا كان وكان الكل من المدعوين ممتلئاً قلبه فرحاً وحبوراً بفوز المحبين بعد ما قاسيا من العذاب الوانا اما حبيب فتذكر حبيبته وكان قد مرّ على مفارقته اياها زهاء الشهر تقريباً فظهرت على وجهه امارات الاضطراب وخاف ان يخونه الدهر بذلك ويقوى خصمه على الفوز بها وهو بعيد عن الديار فحدثته نفسه ان يطلع الفريد على امره غير ان الخجل منعه من ذلك

ولما تمّ عقد الاكليل ذهب الفريد فباع كل عقاراته وممتلكاته وعاد الى الاسكندرية ففعل مثل ذلك فيها وقد حمل والد عروسه على مبارحة الاسكندرية ليجتمع لفيف العائلة معاً في بلد واحد فلم يخالفه في ذلك وقد باع ما ملكت يداه وسافروا جميعاً الى بيروت

﴿ بيروت ﴾

لندعهم ونذهب الى اهل الفريد في بيروت فبعد سفر حبيب منها ببضعة ايام همّ حنا بطلب الابنة وعقد الاكليل فقال له منصور ارجو يا ولدي ان تؤخر ذلك بضعة ايام ريثما نستفيد من مكاتيب مصر عما تمّ للفريد وذكر له حكايته فخاف حنا ان يصاب الفريد بمكروه فيتأخر العرس نظراً للعوائد المألوفة عندنا من موجبات الحزن والحداد لمدة محدودة يمتنع فيها اهل الفقيد عن كل ما يدعو الى التلذذ والانبساط فقال لمنصور ارجو يا عم ان يكون ذلك باقرب

ما يمكن من الوقت والحّ عليه حتى وعده بما يريد وعينا ميقات الفرح بعد اسبوع من محادثتهما

فلما علمت جميلة ضاق صدرها وخافت انقضاء الامر قبل مجيء الفريد فذهبت الى والدتها وقالت لها يااماه لقد شغل بالي تأخر الفريد كل هذه المدة ولم يصلنا خبرٌ عنه وقد سافر حسيب ايضاً وللآن لم نعلم شيئاً عنه

فقالت بعث حسيب كتاباً لوالدك وقد ذكر لي عنه وانهما قد تأخرا بضعة ايام لاشغال خصوصية طرأت على الفريد

فقالت جميلة ان قلبي يحدثني بشرٍ يا اماهُ فهل تستطيعين ان تطلعيني على الكتاب الذي وصل الى ابي

— ما هذا الكلام يا جميلة وما الداعي الى هذا التشاؤم فلم يأزف الوقت ولم يتأخر الفريد اكثر من شهر فلعلّ اشغالاً او دواعي اخرى اخرت العرس هذه المدة

— ولكن يا اماه لم يتأخر علينا الفريد في المكاتبة قبل هذه المرة فبربك استطلعي والدي وخذي الكتاب منه لاطلع عليه فيطمأن بالي · وكانت تتكلم وهي ترتعش من الاضطراب والحزن

فقالت لها امها لقد شغلت بالي يا جميلة · وانتظرت حتى اتى زوجها فذكرت له ما دار بينها وبين ابنتها وطلبت اليه ان يريها كتاب حسيب فسعى في ان يخطيء ظنونها ولكنه ما زادها الا انشغال بال لان سعيه هذا زادها ارتياباً فقالت في بالها لو لم يكن في الامر ما يكدر لما امتنع عن ابراز كتاب حسيب

فلما ضاق منصور ذرعاً عن اقناعها لم يستطع الآن يعلمها بالامر فذكر لها الحكاية وقرأ لها كتاب حسيب وكان يتضمن تطمينهم لانه يبشرهم بالفوز القريب

فاضطرب بالها ولم تستطع الا ان تعلم ابنتها فلما علمت جميلة بذلك زادت اضطراباً وانقطعت الى البكاء وتذكر الحبيب فخشيت ان تحبط مساعيها وخافت ان حنا يصرّ على ما طلب ويوافقه والداها على ذلك

ولما ذكر منصور لامرأته امر العرس عارضته كل المعارضة وقالت له كيف يلذ لنا السرور ونحن على هذه الحال

فهوّن عليها بالامر واقنعها ان المسألة ليست بذات اهمية كما تتصور وان بعد وقت قريب تنقشع كل هذه التهم ويعود الفريد الى احسن ما كان عليهِ من العز والمجد وقال لها قد وعدت حنا بالابنة هذه الجمعة فلا يمكني ان اخلف معه الوعد واصرّ على عزمه حتى رضيت بذلك اما جميلة فلما رأت ميل ابيها الى ذلك عارضت لان الحب والهيام قد انهكا قواها وذهبا بلون وجهها الزاهي فكانت لا يلذ لها منام ولا ترتاح الى شيء

فلما رأى والداها منها ذلك هلع قلباهما عليها وطلبا الى حنا تأجيل الميعاد نظراً لانحراف صحتها ودعيا الاطباء فكانوا يصنعون لها الدواء وهم لا يدرون ما الداء لكن اكثرهم كان ينسب ذلك الى الكدر والحزن وقالوا ان احسن ما ينفعها النزهة والتنقل لتغيير الهواء واستنشاق النسيم النقي

فلما آنس حنا من الاطباء هذا الدواء سألهم اذا كان يناسب تزويجها الآن وبعدئذٍ يذهب هو بمعيتها ويتكفل بانبساطها وسرورها فقالوا وهذا افضل ما

يكون . فلما علمت جميلة بما نووا خفق قلبها وصارت في انشغال بال عظيم فترقبت الفرصة الى ان خلت بنفسها وكتبت كتاباً الى حنا وهذا نصه

حضرة الوجيه الخواجه حنا . . .

ما دعاني الى كتابة هذا الكتاب الى حضرتك الا امر عظيم ارجو من فضلك فيه ان لا تحتقر افكار فتاة لا تشاء ان تخونك او تجلب لك تعاسة او تعب ضمير وذلك اني احب سواك قبل ان يقسم لي الحظ بمعرفتك فلا اقدر ان اتغلب على عواطفي او اتناسى الحب الاول الذي تأصل في قلبي فاذا اردت ان تبرهن لي عن شرف اصلك وكرم اخلاقك فتغاضي عما طلبت وتناسى هذه الفتاة المسكينة . واذا لم تسمع نداءها فلا اكثر من ان اذكرك بالليلة التي دعوتنا فيها لحضور تشخيص رواية «الحب المستعصي» وكيف ذهبت تلك المسكينة ضحية كتمانها ما في قلبها من الحب وافشائه الى اقرب الناس منها فعملها قد جعلني اكثر جسارة منها على افشاء ذلك لك وانا على يقين لما اعهده فيك من كرم الصفات ان تنظر الى كتابتي هذه بعين الاعتبار وان لا تحتقر افكاري فتطلع عليها والديَّ او احداً سواهما من الناس فانك ان فعلت ذلك فقد جنيت على هذه المسكينة التي تكتب اليك وعيناها تدمعان وقلبها يهلع ويدها ترتعش وهي تخال ان كل حركة من حركات الطبيعة تضطهدها وكل الناس رقباء على حركاتها وسكناتها والتعاسة تتهددها من كل ناحية ورجائي الاخير ان تقرأ هذا الكتاب وتجعل نصيبه النار فاشكرك واثني عليك واعدُّ لك بذلك منةً وفضلاً عظيمين واطال الله بقاءك جميلة

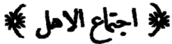
ثم ترقبت الفرصة الى ان زارهم حنا في البيت فسمحت حتى امنت الرقباء

بوجودها واياه في غرفة واحدة فاعطته الكتاب وقالت له ارجو من لطفك ان لا تطلع احداً عليه ولا تدع احداً يدري بذلك فتوليني فضلاً عظيماً

اما حنا فوضع الكتاب في جيبه ولما توجه الى بيته فضه وقرأه فتأثر كثيراً لما انطوى عليه وحار في امره بين ان يكشف ذلك لوالديها او ان يتخلى عنها واقطع من ذلك اليوم عن زيارة اهلها فرابهم الامر وبعثوا يسألون عن السبب فاسند ذلك الى اشغال خصوصية منعته عن زيارتهم. واما اهل جميلة فكانوا باستعداد لترتيب حفلة العرس واحضار ما يلزم لذلك وبعثوا خبراً الى حنا ان الاشياء قد تمت على ما يريد وان الفرصة قريبة ولم يروا منه ما يدل على استعداده

فقال لهم ارجو من فضلكم ان تؤخروا ذلك اسبوعاً آخر وبعد يومين اجتمع بكم ان شاء الله وننظر في الامر لانني في هذين اليومين بانشغال عظيم وكان قد اراد ذلك لانه من يوم اخذ كتاب جميلة وضع الارصاد على بيت اهلها واخذ هو على نفسه البحث والتنقيب لعله يستدل على من تحب فلم يعلم شيئاً فضرب الى اهلها هذا الميعاد بقصد ان يجتمع بهم ويكشف لهم الامر بالتي هي احسن

وفي اليوم الذي ضرب فيه الميعـاد وصلت رسائل حسيب البرقية التي تفيد براءة الفريد وكسبهُ القضية فبعث منصور الى حنا يقول له بذلك وان لا بأس من تأخير العرس لان الفريد آتٍ بعد اسبوعٍ وحينئذٍ نصنع الافراح بوقت واحد فما خالف حنا في ذلك لانه كان يودُّ التأخير ليكتشف عمن يشاطره محبة جميلة



﴿ اجتماع الاهل ﴾

وباثناء هذه الحوادث وصل حسيب والفريد ووالده وعروسه واهلها الى

بيروت فاقبلهم منصور واهل بيته بقلب ملآن من الفرح والمسرّات واحلوهم احسن محل وهنأوهم ومدحوا صنيعهم ولما استقرَّ بهم الجلوس في بيت منصور كان حسيب بمعيتهم لان الفريد ومنصوراً حملوه بالرغم عنه على الذهاب معهم لتقضية بعض ذلك النهار عندهم وقد اعتذروا للذين اتوا من عند اهله لاستقباله واما حسيب فكانت له الارادة التامة بذلك ليرى سالبة لبهِ فلما وصلوا بيت منصور خرج جميع من في البيت لاستقبالهم وكانت جميلة مع من خرج فلما وقع نظرها على حسيب لم تكد تتمالك عن ان ترمي بنفسها عليه لما فعلت بها عاطفة الغرام فتقدمت وسلمت اولاً على الفريد ومن معه ثم اقتربت من حسيب لتطارحهُ سلام الايدي ولما وضعت يدها بيده تمنت ان هذه الفترة لا تنتهي ولم تدرِ بما تخاطبه وقد ارتج عليها في هذا الموقف المهول فنسيت ما كانت تستعد لتخاطبه بهِ في مثل هذا الملتقى واما حسيب فلم يكن اقلَّ منها تأثيراً انما استدرك مراعاة للموقف الذي كان فيه وقال لها اهنيك بسلامة اهلك ياسيدتي فانفتح امامها باب للمجاوبة فقالت له اننا جميعنا مديونون لشهامتك في هذا الحناء فلا عدمت الفضيلة امثالك ايها الرجل الكريم واستدركت حسماً للتجملات من ان تأتي بما يتجنباه فضغطت على يده بيدها الباردة التي كانت ترتعش ونظرت اليه نظراً ما استفاد منه شيئاً غير حسيب

الثناء

ولما دخل الجمع الى المحل المستعد لاستقبالهم كانت قلوبهم ملآنة فرحاً وخصوصاً منصور واهل بيته الذين كانوا ينتظرونهم بملء الصبر لنيل هذه الامنية واستطلاع حكاية الفريد وكيف نجا خينا استقرَّ بهم الجلوس توجهت

الاسئلة الى الفريد في استطلاع هذا الامر

فاستهلّ الفريد كلامه بقوله · افتخر بان اقول انني مديون بشرفي وحياتي معًا وحياة ذلك الاب · واشار الى والده « فكانت تتناثر دموعه » وحياة تلك العزيزة · واشار الى عروسه · وسعادة الاهل ومسرّاتهم في اجتماعا معهم لان كل ذلك بمساعدة اعزّ الاصدقاء واشرفهم اصلاً واصفاهم وداً · واشار الى حسيب

فخجل حسيب لهذه التجملات وقال لالفريد بربك اكفف فلا اطيق استماع مثل هذا الاطراء الذي ما حملك عليه الاّ حبك ولطفك وعلى كل الاحوال فاذا نفعتك بشيء فلا اكثر من اني صنعت الواجب عليّ نحو اعزّ الناس مني · ثم انتقل لحديث آخر حسماً لهذه التجملات

اما جميلة فلما سمعت هذا الاطراء بحبيبها تناثرت دموع المحبة بالرغم عنها وصارت من كثرة تهيجها ترى ذاتها كلها عواطف وتصورات حتى كادت ان تجاهر بما يختلج في فؤادها من الهيام فترى كل من في بيتها فتظنهم يحسون معها او يتأثرون لتأثرها او بالاحرى لم يعد بامكانها ان تضغط على عواطفها التي قد فاضت فصارت تنظر الى حسيب نظرًا مملوءًا من الحب والغرام وهي تكاد ان ترمي بنفسها عليه

فاحس حسيب بذلك فاستدرك خوف انكشاف الامر واستأذن وخرج من الغرفة التي كان فيها بدعوى انه يريد الراحة لان الدوار الذي اصابه في الباخرة لا يزال مؤثرًا عليه فقام اليه منصور وكل من في البيت وقالوا له باستحالة ذهابه قبل العشاء وطلبوا اليه اذا كان يريد ان يضطجع فلا باس من يكون ذلك عندهم وذهبوا به الى غرفة من غرف المنام · ولما دخل اليها احدث جميلة على

نفسها ترتب الغرفة بدون مساعدة الخادمات

ذلك تستغنم الفرصة فتكلمه الكلمة بعد الاخرى .

عليه وتخشى ان تكلمه به شفاهاً وقالت له انها تود

به ثم تركته لنفسه في الغرفة وذهبت وكتبت اليه حتى

الى آخرها واستغنمت الفرصة فدفعتها اليه

﴿ فوز المحبين ﴾

وفي اليوم الثاني اجتمع حسيب بالفريد وذكر له حكايته مع جميلة من اولها الى اخرها وما تم لما مع خطيبها حنا وطلب اليه المساعدة في ذلك فقال له الفريد حباً وكرامة فلا يكون الا ما تريد ايها العزيز

وكان حنا قد ضاق ذرعاً عن معرفة خصمه فحار في امره بين ان يعلن ذلك لوالدي جميلة او ان يتنازل عن ذلك وفي كل الاحوال فان معاملته لاهل جميلة قد تغيرت الى عكس ما كانت عليه قبل ارسال الكتاب فلما علم الفريد بذلك اجتمع بمنصور على انفراد وسأله عن عزم حنا في مسألة الزواج فقال له انه كان من نحو اسبوعين لجوجاً في تعيين ميقات العرس واما الآن فقد انقلب الى ضد ما كان عليه ولا اعلم لذلك سبباً

فطاوله الفريد بالحديث حتى اطلعه على امر حسيب وجميلة وتعلقه بها وكيف انه امتنع عن اظهار ذلك في اول الامر خوفاً من ان لا ينال طلبه القبول وتطرق بعد كل هذا الى كيفية ارسال جميلة الكتاب الى حنا والتمس لها عذراً في ذلك وبقي عليه حتى برأ جميلة من عملها هذا . ثم قال منصور الآن فهمت سبب كدر حنا وتأخيره الاكليل فاذا لامنا على عملنا هذا ونسب الينا

م، وانا اكفل لك رضاء الفريقين

ه امر الصلح وذهب الى بيت حنا فاجتمع به وجال

طلع على كل خفاياه وما زال يبحث معه في هذا

الامر حب حسيب الى جميلة وان نشأته منذ الصغر واخترع

لجميلة عذراً في ارسال الكتاب له كما تقدم الكلام ودام على هذه الحال حتى

تنازل حنا عن الابنة لحسيب برضاء تام

ثم عقد لحسيب عليها وتمت الافراح بانتصار المحبين واخذال الغادرين

واجتماع الاهل والخلان في احسن حال وانعم بال

